المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص373-401

موقف الصحافة الإصلاحية (الجنوب الجزائري) من السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر جريدة وادي ميزاب لشيخ أبو اليقظان نموذج (1926 /1929)

The position of the reformist press (southern Algeria) on the French educational policy in Algeria Oudi Mizab newspaper by Sheikh Abu Al-Yakdan as a model (1926/1929)

محمد بركة*
مخبر المخطوطات
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
Barka.mohamed@univ-alger2.dz

خديجة كريمي
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
Khadijakarimi@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ الارسال:
2024/09/10
تاريخ القبول:
2024/11/12
الكلمات المفتاحية:
✓ وادي ميزاب
✓ السياسة التعليمية
✓ صحافة
✓ اللغة

الملخص:
لعل مختلف الدراسات أكدت أن الواقع الثقافي والتعليمي في أواخر العهد العثماني قد كان يتماشى مع مكونات المجتمع الجزائري، لذا استخدم المستعمر الفرنسي سياسة تعليمية جديدة لضرب الشخصية الجزائرية. وعمد على تنشيط وبعث اللغة الفرنسية لتسيير الإدارة في ظل نظام الحكم المدني بداية من سنة 1870 م، ولتثبيت ذلك استغل العديد من الوسائل التي تربطه بالمجتمع الجزائري أهمها الصحافة؛ ومع مطلع القرن العشرين ظهرت حركة إصلاحية في الجزائر يقودها أعلام وشخصيات وطنية، من بينهم الشيخ أبو اليقظان الذي استطاع أن يؤسس لصحافة وطنية بأقلام جزائرية؛ ومن بين الصحف التي سنسلط عليها الضوء من خلال مواقفها من السياسة التعليمية الفرنسية جريدة وادي ميزاب. والغرض من الدراسة هو تسليط الضوء عن مظاهر السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر وإبراز مواقف وأراء الصحافة الإصلاحية من هذه السياسة خاصة مع بداية القرن العشرين الذي شهد تطور النشاط الصحفي في الجزائر.

Article info
Received:
10/09/2024
Accepted:
12/11/2024
Key words:
✓ OuadiMizab (Mizab Valley)
✓ Educational policy
✓ Journalism
✓ Language

Abstract
Perhaps various studies confirmed that the cultural and educational reality in the late Ottoman era was in line with the components of Algerian society, so the French colonizer used a new educational policy to strike the Algerian personality. He revitalized and revived the French language to run the administration under the civil system of government starting in 1870. To stabilize this, he took advantage of many means that link him to Algerian society, the most important of which is the press. At the beginning of the twentieth century, a reform movement *emerged* in Algeria led by national scholars and figures .Among them is Sheikh Abou El Yakdan, who was able to establish a national press with Algerian pens; Among the newspapers that we will highlight through their positions on French educational policy is the Ouadi Mizab newspaper. The purpose of the study is to shed light on the manifestations of the French educational policy in Algeria and to highlight the positions and opinions of the reformist press on this policy, especially at the beginning of the twentieth century, which witnessed the development of journalistic activity in Algeria.

* المؤلف المرسل

مقدمة

اعتمد الوجود الاستعماري منذ الوهلة الأولى على تثبيت الثقافة الغربية في الجزائر من خلال فرض السيطرة على المؤسسات التعليمية؛ وكرد فعل على ذلك راح أبناء الشعب الجزائري يدافعون عن مقوماتهم الشخصية بكل غالٍ ونفيس، فكانت المقاومات الشعبية وكل أشكال المقاومة العسكرية؛ هي بداية مرحلة الدفاع عن الهوية الجزائرية واسترجاع معالم الهوية (الجزائر العربية الإسلامية)، ولم تقم الإدارة بأي جهد خاصة في الفترة ما بين 1830– 1850م، بل قامت بقطع شريان الحياة لمؤسسات التعليم التقليدي وذلك من خلال الاستلاء على الأملاك الوقفية وجعلها في خدمة العسكرية وجعلها مراكز لإيوائهم؛ وحينها لم يبقى من المؤسسات التعليمية إلى تلك التي يشرف عليها المهاجرون الذين وفدوا واستقروا في الجزائر .

رغم ذلك أحجم الآباء عن إرسال ابناهم بداعي أن المقاييس المدروسة تراعي مصالح فرنسا؛ وتجعل منهم يتخلون عن دين أباءهم وأجدادهم. ولعل سنة 1844م أعطت إدارة الاحتلال بعض الاهتمام لمسألة تعليم الأهالي، باقتراح من الجنرال بيجو – الذي أعطى له الفكرة مترجمه ليون روش– فكرة إنشاء معهد عربي فرنسي بمدينة الجزائر؛ وقام حتى بمراسلة وزير الحربية الذي قبل بهذه الفكرة وحسب المصادر ومذكرات الفرنسية تقول إنه تم قبول هذا الاقتراح، رغم الصراع والاختلاف حول مقرها وهل يكون في الجزائر أم فرنسا؛ مما سبب تأخر في إعلان عن هذا تطبيق هذا المقترح.

رغم ما سجله التعليم الفرنسي في مراحله الأولى (1850– 1870) من مبادرات نوعية في مجال تعليم الأهلي خاصة في المرحلة الابتدائية، لكن كان يعتمد على سياسة التمييز بين أطفال، ولعل هذا التطور أسهم بكثير في فتح عدد من المدارس الحكومية؛ والتي كانت تسمى بالمدارس العربية الفرنسية. بالإضافة لإنشاء ثلاث مدارس لتكوين أعوان القضاء الإسلامي وموظفي الشؤون الدينية، ومن بين التنازلات الفرنسية التي اعتبرها الجزائريين غاية المستعمر في تقليص تعليم الكتاتيب وجعله في المراتب المتأخرة وذلك بسبب علاقته الوطيدة الدين الإسلامي، ومن خلالها دعت الحكومة الفرنسية من الجزائريين لتعليم أبنائهم دون سواء في المدارس العربية الفرنسية ولعل الحقيقة الأمر أنها كانت تصبوا الحكومة الفرنسية لهدفين أولهما القضاء على التعليم البادئ (تعليم الشريعة) الذي كان ساري المفعول منذ الوجود العثماني ويعتمد على دور الكتاتيب التي تمثل جزءا هام من المؤسسات الدينية (المساجد) .

وفي مطلع القرن العشرين بدأت تظهر مقاومة فكرية تعتمد على النشاط الصحفي خاصة الكتابة باللغة العربية؛ ولعل من أبرز هذه الشخصيات نذكر الشيخ العلامة إبراهيم أبي اليقظان، يعد هذا الأخير من بين أهم الأعلام البارزة في تاريخ الجزائر المعاصر، ولعب هذه الأخير دورا بارزا في سبيل نصرة القضية الوطنية ونشر الوعي بين سكان الجزائر عموما ووادي ميزاب على وجه الخصوص، إذ يعتبر من بين أحد أعمدة الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر حيث أصدر العديد من الجرائد التي كانت غايته منها كشف سياسة وأساليب

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الاحتلال القمعية والتعسفية، ومن بين هذه الجرائد نذكر جريدة وادي ميزاب التي عالج من خلالها العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.

ولإبراز مواقف وأراء النشاط الصحفي من الجنوب الجزائري من السياسة التعليمية الفرنسية نطرح الإشكال التالي: **كيف كان موقف الصحافة اليقظانية من محاولة فرنسا ترسيخ التعليم الفرنسي في الجزائر؟**

من خلال طرح الإشكال وضرورة دراسة جوانبه نطرح جملة من التساؤلات:

*** ما هو مضمون السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر؟**

*** ما هي مراحل تطرها في الجزائر في ظل الممارسات الاستعمارية؟**

*** كيف كان موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي في الجزائر؟**

*** ما هي الصعوبات والعراقيل التي واجهت جريدة وادي ميزاب؟**

*** ما هي الأسس والقواعد التي طرحتها جريدة وادي ميزاب في تهيئة النشء لتلقي التعليم الصحيح؟**

والغرض من هذه الدراسة هو دراسة تاريخ الجزائري في الفترة الاستعمارية في جانبه الثقافي، وكذا إبراز كيف استطاعت فرنسا أن تكرسه في خدمة المخططات الاستعمارية. وإبراز دور المقاومة الثقافية من خلال النشاط الصحفي الذي كان يمثل سلاح لأعلام الإصلاح في الجزائر. فالمنهج التاريخي مرتبط بخصوصية الموضوع وطبيعة التخصص، واقتصرنا في استخدامه حينما تعرضنا للتعريف بالسياسة التعليمية الفرنسية؛ ومعرفة تاريخ ظهورها وتوقفها، كما يعود استخدامنا للمنهج الوصفي من خلال وصف الأحداث المختلفة حيث تم رصد مظاهر انتشار هذه المدارس، وما مدى تأثيرها في أبناء الجزائريين ووسائله في كل أنحاء البلاد أي التسلسل الكرونولجي؛ لأن طبيعة الموضوع تستدعي ذلك. وقد تتضح الصورة الكاملة لمتتبع لحيثيات هذا الموضوع من خلال تناولنا لكل جريدة من كل جوانبها.

1. السياسة التعليمية الفرنسية

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر ركزت بالدرجة الأولى على الاحتلال العسكري والاقتصادي، ولم تقم بأي مجهودات تذكر فيما تتعلق بتعليم الجزائريين بل بالعكس قامت بإتباع سياسة تجهيل وفرنسة واضحتين في نفس الوقت (المركز، 2011، صفحة 30).

1.1. مفهوم السياسة التعليمية

هي مختلف الطرق والوسائل التي طبقتها الإدارة الفرنسية الاستعمارية وفق مراحل ابتداء من سنة 1830 م إلى غاية 1954 م ،بغرض طمس معالم هوية الفرد الجزائري من خلال التأثير على مقومات التعليم العربي الإسلامي؛ الذي كان منتشرا بين الأهالي (المركز، 2011، صفحة 32)، وقد كان سعيهم حثيثا من أجل اجتثاث وسحق القومية العربية الإسلامية التي عمل الإسلام على مدى قرون من أجل المحافظة عليها هو ما جاء في التعليمات الرسمية الصادرة عن حكام الجزائر غداة الاحتلال، أن الجزائر لم تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصير لغتهم هناك لغة قومية، فكان السعي من أجل نشر الفرنسة بين الأهالي وتصبح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حال لسان الجزائريين مقام اللغة العربية (خليل، 2007–2008، صفحة 51). وبذلك تعرف سياسة فرنسا التعليمية بأنها عملية فرض سياسة التجهيل على الشعب الجزائري للقضاء على مؤسساته التعليمية والدينية (دبي، 2010–2011، الصفحات 43–44). كما يمكن تعريف السياسة الفرنسية التعليمية على أنها هي عملية القضاء على التعليم العربي نهائيا؛ وذلك بانتقال التعليم إلى الزوايا التي أصبحت تمثل ما تبقى من التعليم الإسلامي، والتي كان كل ما يُدرس فيها إلا كتب كَـرَامَات الأولياء ومناقب الصالحين وبعض أبواب من الفقه (المعاملات والعبارات البسيطة دون الجهاد) وفق منهج قديم، وعمد الاستعمار إلى اختيار الأشخاص الذين يشرفون على نشاطه التعليمي بتنفيذ تعاليمه حرفيا وذلك بمنحهم الهبات ودعوتهم لحضور الاحتفالات الرسمية (أحمد، 2005–2006، صفحة 105).

كما اعتبرتها الإدارة الفرنسية أن استمرار هذه المؤسسات في عملها يساعدها في التعرف على خصوصيات المجتمع الجزائري ويؤكد على خدمتها النبيلة في كل مستعمراتها، خاصة منها مستعمرات شمال إفريقيا أي تطبيق تثقيف أبناء الأهالي ومحاولة إدماجهم؛ بعد أن أدركت أن سلاح القمع والإبادة لم يعودا مجديين ومن هذا المنطلق الاستعماري تحول التثقيف إلى غزو ثقافي لائكي اندماجي معادي لكل موروث وطني جزائري.

كما أصدرت في07 ديسمبر 1830م نص على حجز كل الأوقاف وضمها إلى أملاك الدولة هذا القرار حرم المؤسسات العلمية من السند المالي وبالتالي يهدف إلى التضييق على التعليم، وهو ما أدى إلى تقهقر وضعف الحياة الثقافية، وهو ما أشار إليه توك فيل في تقريره عام 1847 م بعد استيلائه على بعض المؤسسات العلمية؛ حيث أشار إلى أن المدارس أصبحت عقيمة الإنتاج بعدما تم التغيير في عدد الحلقات العلمية وبذلك انطفأت الأنوار وتوقف انتقاء رجال الدين والقانون وهو ما جعل المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر فوضى وجهلا (أحمد، 2005–2006، صفحة 2). كما نقصد بأنها تلك الطرق أو المراحل التي سطرها الاستعمار الفرنسي ابتداء من سنة 1830 م لطمس الهوية الجزائرية والقضاء عليها وسلخ الشعب الجزائري عن امتداده العربي الإسلامي (حسين، التعليم الرسمي الفرنسي 1884– 1914م، 2012–2013) (أحمد، 2005–2006، صفحة 134).

ومن أجل أن تُثبت فرنسا أقدامها سعت لسحق قومية الجزائريين العربية والإسلام فلطالما كان هذا الأخير حافظا لهوية الجزائريين فسعى الاستعمار الفرنسي إلى إحلال الفرنسية مكان العربية (المركز، 2011، صفحة 45). ومن أجل إنجاح السياسة التعليمية الفرنسية وتثبيتها مرت هذه الأخيرة بمرحلتين الأولى من عام: 1830 إلى 1850، والثانية من: 1850 إلى 1919م.

1.1.1.المرحلة الأولى 1830– 1850م

لم تقم السلطات الاستعمارية بأي جهد جاد لتعليم الجزائريين فركزت بالدرجة الأولى على إرهاق المقاومات التي ظهرت في الشرق والغرب بعدها قامت بقطع شريان الحياة للمؤسسات التعليمية والدينية (قنان،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2009، صفحة 15) . لكن ستنطلق أول خطوة تعليمية فرنسية وذلك بفتح مدرستان أطلق عليهما اسم التعليم المتبادل (le nseignemen mutuel) إحداهما في وهران والأخرى في عنابة (حلوش، 2013م، صفحة 39) لكنهما وجدتا رفضا من طرف الأهالي. وفي عام 1836 أسست المدرسة العربية الفرنسية بمدينة الجزائر وقد بلغ عدد الجزائريين المتمدرسين 427 تلميذا (قنان، 2009، صفحة 15)، بعد ذلك توقفت السلطات الفرنسية عن إنشاء المؤسسات التعليمية حتى عام 1850، ومع بداية 1844 وفي تقرير أشرفت عليه الولاية العامة GGA رأت بضرورة إنشاء مدارس خاصة بالأهالي ولغة التدريس بها تكون العربية وإلى جانب هذه المؤسسة يُؤسس معهدٌ للتعليم الثانوي تُدرس فيه المواد التي تُدرس في فرنسا، من أجل تكوين نُخبة موالية لفرنسا (حسين، التعليم الرسمي الفرنسي 1884- 1914م، 2012-2013، صفحة 2). كما يُمكن الإشارة أن وزارة التربية الفرنسية أعطت تعليمات التي أصدرها الجنرال (بيجو) من اجل إقناع الأسر الجزائرية لإرسال أبنائها للتعلم في فرنسا فرد بأن هذه الفكرة لم تلق ترحيبا من الأسر الكبرى.

2.1.1.المرحلة الثانية 1850 – 1919م

أولت الحكومة الفرنسية أهمية للتعليم حيث أصدرت مرسوما في 1850/07/14 الذي نص على إنشاء 10 مدارس ستة للذكور وأربعة للإناث، عُرفتْ بالمدارس العربية الفرنسية التي يتم تأطيرها من طرف معلم عربي صباحا والثاني أوروبي ويُداوم مساءا، ويكون المعلم العربي من اقتراح عامل العمالة بعد دراسة معمقة لملف المعلم الجزائري (حلوش، 2013م، الصفحات 50-51).

يتلقى الجزائري في هذه المدارس مختلف العلوم وتُكلل في آخر المطاف بشهادة نجاح حسب الاستحقاق. ويخلص الأستاذ جمال قنان في الأخير إلى أن عدد المدارس التي تم إنشاؤها هو تسعة عشر مدرسة وأن عدد التلاميذ المتمدرسين قد يصل إلى الألف أو ضعف هذا العدد (حسين، التعليم الرسمي الفرنسي 1884- 1914م، 2012-2013، صفحة 9) .

أقرت سلطات الاحتلال إلى تأسيس معهدين ثانويين آخرين في كل من وهران وقسنطينة وذلك في عام 1865م (قنان، 2009، الصفحات 62-65). وفي 04 أوت تم إصدار مرسوم يقضي بضم المعهدين الثانويين الخاصين بالأهالي للثانوية الفرنسية وفي 16 فيفري 1876 تم إدخال بعض التحسينات على وضعية المدارس الإسلامية بما يخدم المصالح الفرنسية بعدها صدر قانونان في 16 جوان 1881م والآخر في 28 مارس1882 (بلاح، 2006، صفحة 244) اللذان يجبران على التعليم ، لكن في حقيقة أمرهما أنهما موجهان للأوربيين فقط في الابتدائي وإن سُمح للأهالي فعليهم أن يدفعوا مبالغ مالية، وهو ما لا يستطيعه الجزائريون فكان من بين ستة ملايين كان ستون ألفا فقط يتلقون تعليما في الابتدائي أي ما نسبته 01 من المائة وبمنهاج فرنسي وهو ما يعني غياب تام للغة العربية (سعدالله، 1998، صفحة 177).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.1. الأساليب الفرنسية لتطبيق سياستها التعليمية في الجزائر

من أجل إكمال مخططتها التغريبي الصليبي وضعت السلطات الاستعمارية الفرنسية سياسة تعليمية من أجل استهداف مقومات الثقافة الوطنية المتمثلة في اللغة والتعليم العربي الإسلامي مروجة في البداية أن الجنس العربي يعيش أسفل درجات الجهالة والهمجية ومن أجل تنفيذ مهمتها رأت أن عليها إفساد الطفل العربي وإرساله إلى المدرسة وافتكاكه من أيدي آباءه الجهلة والمتعصبين ومن أجل تحقيق ذلك اتبعت مجموعة من الأساليب لتحقيق أهدافها.

1. 2. 1.إتباع سياسة التجهيل

من أهداف المدرسة الفرنسية في الجزائر أن تجعل الأهالي يتقنون اللغة الفرنسية اتقانا جيدا وذلك لعلمها بأهمية اللغة العربية في نفوس الجزائريين، ولن يتأتى لها ذلك إلا بمحاربة مصدر تعلم هذه اللغة وهو المساجد والزوايا والمعاهد المنتشرة ؛ فكان لا بد من التفكير في القضاء على هذه المراكز والمعاهد وذلك بحبس أوقافها العقارية إذ كانت تبلغ نحو 66 من المائة من مجمل الأملاك (العسلي، 1983م، صفحة 29) وقد صرح (دي توكوفيل) DE TOC QWEVILLE قائلا حسب ما نشره شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله: "... **لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك ثم وجهناها لغير الوجهة التي كانت تستعمل لها في الماضي لقد عطلنا المؤسسات الخيرية وهكذا تركنا هذه المدارس تموت والندوات العلمية تندثر...**" (سعدالله، 1998، صفحة 61).

وهو ما وقع لمسجد السيدة إذ أوهم اليهود الجنرال (كلوزيل) CLAUZEL أنه يحوي كنوز الدّاي فأمر بغلقه وبدأ العمال يبحثون عن الكنز المزعوم، لكنهم لم يعثروا على شيء فأمر بهدمه من أجل التغطية (خوجة، 2005، صفحة 247). كما لم تسلم من هذه السياسة الزوايا والمكتبات العامة فخضعت هذه الأخيرة للرقابة فوفقا لقانون 1886/10/30م ومرسوم 1887/12/06م (Zessin, 2011, p. 187) تم إخضاع المدارس القرآنية إلى رقابة وتفتيش شديدين من قبل السلطات الفرنسية وفي المادة 48 من مرسوم 1898م أخضعت المدارس الخاصة إلى تفتيش السلطات (مهديد، 2006، صفحة 15).

إن هذه الغطرسة الفرنسية لا تعني القضاء على المراكز العلمية فحسب، بل أيضا أرادت من خلالها القضاء على مصادر الثقافة الإسلامية العربية؛ ومما يؤكد سياسة فرنسا الموجهة ضد اللغة العربية هو أوامرها بإغلاق المؤسسات التي تُعْنَي بتعليمها للغة العربية خاصة بعد قرار الإلحاق 1834م إذ بموجبه أمست لغة الاستعمار هي اللغة الرسمية لتصبح اللغة العربية أجنبية في عقر دارها.

ومما زاد الطين بلة هو قرار وزير الداخلية شوطان (CHAUDAN) اعتبر من خلاله العربية لغة أجنبية لا يمكن تعليمها في مدارس التعليم الحكومية الفرنسية أو شعبية إلا برخصة من سلطات الاحتلال (تركي، 2010، الصفحات 21-36). ومن خلال أيضا القرار الذي صدر في 18 أكتوبر1898م الذي منع من فتح أي مدرسة لتعليم اللغة العربية (زروقة، 1999، صفحة 24). وقد زاد التضييق على اللغة العربية

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أكثر فأكثر خلال بدايات القرن العشرين في 24 ديسمبر 1904م أصدر الحاكم العام الفرنسي قرار بعدم السماح لأي معلم جزائري بالتعليم دون الحصول على رخصة من سلطات الاحتلال وبشروط مجحفة:

- أن يقتصر تعليمه على تحفيظ القرآن فقط دون غيره.
- أن لا يقوم بشرح الآيات وخاصة التي تتعلق بالجهاد.
- أن لا يقوم بتدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها وتاريخ وجغرافية العالم العربي والإسلامي.
- أن يكون مخلصا للإدارة الفرنسية ويخضع لأوامرها مهما كان شأنها.
- يحضر على هذه المدارس بعد الإذن بفتحها أن تستقبل الذين هم في سن الدراسة أثناء ساعات التعليم في المدارس الفرنسية حتى ولو كان في القرى التي تبعد بـ 3 كم (بوعزيز، 2007، الصفحات 60-61).

إذن فمن خلال ما سبق نرى أن السلطات الفرنسية رأت أن نشر وتعليم اللغة العربية هو محاولة عدائية ضدها فقد عمل على تقسيمها إلى ثلاث لغات لا جدوى منها:

- **الأولى** عربية عامية المستعملة عند الشعب.
- **الثانية** فصحى والمستعملة في القرآن وهي ميتة شأنها شأن اللاتينية.
- **الثالثة** هي لغة عربية حديثة ناتجة عن بعض المتعلمين فاعتبرها أجنبية يجب إبعادها. (تركي، 2010، صفحة 20).

2.2.1. فتح المدارس الفرنسية في الجزائر

يعتبر التعليم نقطة جوهرية في حياة أي امة وهو يعكس حال الأمة وتطورها فبواسطته يمكن إعداد أطفال صالحين قادرين على تحمل المسؤولية في المستقبل (علالي، 2013، صفحة 45)، وقد تفطنت الإدارة الفرنسية لهذه النقطة المهمة وقامت بمحاولة تدجين بعض الجزائريين كمرحلة أولى لأنها كانت تعلم أن بواسطتهم يمكن أن يكونوا حلقة وصل بينهم وبين السكان (باحثين، 2009، صفحة 123).

ولقد مر التعليم بمراحل على اختلاف العسكريين والسياسيين المدنيين الذين حكموا البلاد ، في الغالب كانت نتيجة التعليم في الجزائر سيئة بسبب الصراع القائم بين الإدارة الفرنسية والبرلمان والمستوطنين، ومن خلال نوعية التعليم وطريقة إعطاءه للجزائريين، ولتضح النية الفرنسية أكثر فأكثر بعد إصدارها لمرسوم 14 جويلية 1850م (النوري، ب س، صفحة 276) الذي يؤسس للمدارس الفرنسية العربية، هذه الأخيرة كانت موجهة للجزائريين ولم يقتصر التعليم فيها على الذكور فقط بل أُنشئت أيضا من أجل الفتيات المسلمات، فكما قال أحد الفرنسيين الغرض من نشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين عن طريق المدارس هو القضاء على المدارس العربية الإسلامية (خليل، 2007-2008، الصفحات 35-36).

ومع مرور الزمن وصل عددها إلى غاية 38 مدرسة عام 1861م، لكن عددها قل نتيجة قلة الدعم المادي، وقد أعطي للتعليم انطلاقة جديدة بعد 1883م بعد أن ترأس (جون فيري) للجنة مجلس الشيوخ، التي كُلفت بدراسة القضايا الجزائرية السياسية والتعليمية (VOISIN, 1861, p. 234)، ففي الفترة الممتدة من

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

جانفي 1883م إلى غاية جويلية 1887م فُتحت خمسون مدرسة منها 29 في عمالة الجزائر و23 في عمالة قسنطينة و7 في عمالة وهران، أما عدد التلاميذ فقد كان يتزايد تدريجيا.

السنة	عدد التلاميذ
1882	3172
1883	4094
1884	4824
1885	5695
1886	7341
1887	9064

هذا العدد غير كاف إذا قارناه بعدد التلاميذ الذين هم في سن الدراسة، والذي كان يقدر بحوالي 860 ألف (زوزو، 2010، صفحة 230) ضف إلى ذلك كان يوجد تمييز واضح، حيث أن التلميذ الأوربي يتلقى تعليما متميزا عن الجزائري بواسطة معلمين أكفاء ذوي خبرة واسعة وهو ما لم يمنح للجزائريين (زبيري، 1999، صفحة 21).

وبالنسبة للتعليم العالي فقد كان في مدينة الجزائر مدرسة للطب والصيدلة، لكن فيما بعد تم إضافة ثلاثة مدارس عليا أخرى وهي (قداش، 2008، صفحة 182 ،183) واحدة للحقوق وأخرى للعلوم وثالثة للآداب، وكان أغلب طلبة هذه المدارس من طلبة الحقوق وكان مجمل الطلبة هو 750طالبا، هذه الجامعات لا تختلف في مناهجها عما هو موجود في فرنسا (المدني، 2010، صفحة 374).

في الحقيقة أن هذه المدارس جاءت لتدعيم سياسة فرنسا التعليمية من جهة وخدمة الكولون من جهة ثانية؛ بينما التعليم الأهلي ضلّ محتقرا ومُتهاونا يجعل المجتمع يعيش نوعا من الطبقية كما يقول (فيلمان) رئيس مكتب الشؤون السياسية في باريس عام 1846م: "...**إن الدّاعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع المواطنين من بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا**... " (رحوي، 2011، الصفحات 63-64). فحتى المناهج التي كانت تقدم للتلاميذ الجزائريين كانت مشوهة من أجل ضرب الذاكرة الوطنية والقضاء على كيانها متبعة في ذلك عدة خطوات:

– إنكار عروبة الجزائر بالادعاء بانتمائها إلى بلاد فرنسا حتى يقبل الجزائري فكرة وحدة الجنس مع الفرنسيين (ناصر، 2013، صفحة 101).

– تجاهل علماء الآثار والتاريخ الفرنسيين لتاريخ الجزائر العربي الإسلامي، وتركيزهم على دراسة التاريخ الجزائري الروماني الفرنسي حتى يفهم الجزائريون المثقفون بالفرنسيين أن بلادهم فرنسية في الحاضر رومانية في الماضي (دبوز،2013، صفحة 285).

– اعتبار الفتح العربي الذي نشر الإسلام في الجزائر ودام 13 قرنا احتلالا عربيا للجزائر وأن فرنسا هي المخلصة منه، أما بالنسبة للجغرافيا فهي أيضا قد طالها التشويه خوفا من أنها تساعد على تكوين الروح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الوطنية والشخصية القومية ومنعها من المدارس الحكومية ومدارس التعليم العربي الحر في المقابل يتم تدريس الجغرافيا الفرنسية (بلاصي، 1990، صفحة 37) .

2. الشيخ أبــو اليقظـــان (مولده، نشأته، تعليمه)

1.2. المولد والنشأة

هو الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى الحمــدي، بن يحيى بن داود بن عيسى، بن الشيخ أحمد بلقاسم بن حمو بن عيسى حمدي (زبيري، 1999، صفحة 94 ،95)، أما كنيته أبو اليقظان فقد أخذها من محمد بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم خامس أئمة الدولة الرستمية الإباضية؛ الذي كان متأثرا بشخصيته (الحاج ،2007 ، صفحة 185). وقد ولد يوم الاثنين التاسع والعشرون من صفر سنة ألف وثلاث مائة وستة للهجرة (29 صفر 1306هـ) الموافق للخامس من نوفمبر سنة ألف وتسع مائة وثمانية وثمانون لتاريخ الميلادي (5 نوفمبر 1888) (المدني ،2009، صفحة 151) بالقرارة (بالواحات).

أصل شريف وتربى وهو يتيم الأب الذي كان من الأعضاء مجلس العــزابة (بوحجام، 2013، صفحة 34) من عشيرة (البلاط) وكان إمام وواعظ بمسجد القرارة لمدة تتجاوز أربعة عــشر سنة (بوحجام، 2013، صفحة 33)، ووالدته هي السيــدة عائشــة بنت الحاج أمحمد بن الحاج عمر إبراهيم بوعروة من عشيرة (أولاد حمو بن إبراهيم) المشهورة بالقرارة، وتميز أبي اليقظان وهو طفلا بالحفظ السريع حيث استطاع أن يحفظ القرآن في عمر مبكرة في كتاتيب القــرارة (الرزقي، 2015، صفحة 27).

ونشأ أبو اليقظان في عائلة متواضعة ووسط متدين معروف بالــورع والتقوى وحسن الخلق، والتحق بالمدرسة التلاميذ التي كان يشرف عليها معلمين وشيوخ ؛ ومن بين الشيوخ الذين أشرفوا عن تعليم أبي اليقظان في المرحلة الابتدائية في القرارة (الحاج عمر بن يحيى) (التعليق 1) مثلما أسلفنا سابقا؛ ولا ننسى فضل الشيخ (الحــاج إبراهيم بن عيسى الإبريكي) (التعليق 2) (النوري، ب س، صفحة 97) الذي كان يشرف عليه لم سافر الشيخ عمر بن يحي لأداء مناسك الحج سنة 1902م، وتعلم دروس اللــغة والفقــه التي كان يقدمها المعلمين والشيوخ (الرزقي، 2015، صفحة 32). واستطاع أبي اليقظان أن يحفظ الكثير من المتون في النحو والصرف والفقه نذكر منها ألفية السالمي (طلعة الشمس) في الأصول، بالإضافة لمتن (الورقات) كذلك في أصول الفقه و(الدرر اللوامع) في القراءات، والأربعين حديثا نبويا مع الإسناد والشرح (الزبير، 1985، صفحة 147).

ولقد كان لأبي اليقظان صديق منذ أن بدأ يدرس في مدرسة التلاميذ يكابد معه حلاوة طلب العلم منذ الطفولة وهو(الحاج عمر العنق) (التعليق 3) (التراث، معجم الإباضة،قسم المغرب، 1999، صفحة 301) الذي يعتبر من رجالات الإصلاح في جنوب الجزائري وعضو بارز في جمعية علماء المسلمين. يقول الصحفي زبير سيف الإسلام من خلال رسالته لأبي اليقظان: "...**كان شهما سريع التجاوب بيني وبينه بتلك الرسائل وفعلا جاءني الرد لأسئلتي فورا ومعها إجابات دقيقة من مراحل حياته ولم ينتقص من طفولته شيئا**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بل كان يروي قصة الصداقة بينه وبين الشيخ عمر العنق الذي سيكون نهلا من أقلام الجنوب...". (أبي اليقظان،2003، صفحة 11).

والجدير بالذكر تعلقه بالقراءة الصحف، فكان يحب ذلك الشكل من الصحف خاصة التي كان يجدها في رفوف المعلمين وكان لونها زهري ذات مساحة كبيرة مستطيلة الشكل، وفيها أعمدة مكتوب عليها مضامين المقالات التي تعالج كل ما ينوء عن الأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها، ويقول أبي اليقظان في كتابه تاريخ صحف أبي اليقظان: "...**كان ميلي إلى الصحافة منذ طفولتي فطريا غريزيا، وكنت شغوفا بمطالعة حقا، منذ أن تعلمت حرفا عندما تفتحت زهرة حياتي العلمية إبان الحرب الأولى لطرابلس الغرب منذ 1911-1913 وكنت مغرما بتتبع أخبارها في جريدة الزهرة التونسية...**" (سيف الإسلام، أخر حديث لعميد الصحافيين المرحوم أبي اليقظان عن التاريخ النضالي للصحافة الوطنية، ب س، صفحة 104).

2.2 . تعليمـــه ومسار التكوينه

تتلمذ الشيخ أبو اليقظان على أيدي العديد من المشايخ والأئمة في جميع مراحل تعليمه منهم (الحاج عمر بن يحيى) والشيخ الحاج (محمد بلحاج قاسم) (التعليق 4) (دبوز، 2013، صفحة 174)؛ كما عرف بحبه الشديد للعلم الذي ورثه من أبيه وأمه كان يرى أن العلم عبادة تمكنه من نيل رضا الله تعالى وكان يتمنى أن يكبر ويدخل الكتاب والمعاهد، وعند بلوغه سن الثامنة من عمره توجه إلى الكتاب وكان أول معلم له هـو الشيخ (إبراهيم بن صالح بصحابة) إذ تعلم على يده القراءة والكتابة وحفظ جزءا من القرآن الكريم، وسرعان ما حفضه وأتقن ترتيله بروايتين، انتقل بعدها إلى معلم الكتاب الكبير السيد (الحاج بن حمو) لكي يتعلم تفسير القرآن.

وزاول الطفل أبو اليقظان تعليمه الابتدائي في "**القرارة**" (التعليق 5) تلك الواحة الصحراوية شاهقة النظير عند الأستاذ الحاج عمر بن يحيى. والذي كان يشرف عليه في فترة غـياب الشيخ عمر بن يحيى– ذهابه لحج – (الحاج إبراهيم بن عيسى) ويعود له الفضل في صقل مواهبه سواء كتابة النشر أوالشعر أوالخواطر لشيخ، ويروي ذلك حســـب ما جاء في حوار زبير سيف الإسلام فيـــقول: "...**وقد أخذت عن شـــيخي الحاج عمر مبادئ العـــــقيدة من توحيد الـــعزابة للشيخ عمرو بن الجميع الجربي مما أخذت عنه "القطـــــــر" في النحو وفي هذا الدور الابتدائي حفظت القرآن عن ظهر قلب وكذا متون تمهيدا للأجرومية ...**" (دبوز، 2013، صفحة 106)؛ وتم شرح الأجرومية (لأبي داود سليمان)، و"**ألفية ابن مالك**"، و"**متن القطر**" و"**جوهر المكنون**" في البلاغة وألفية السالمي (طلعة الشمس) ومتن "**الـورقات في الأصـول**"و"**الدرر اللوامع**" في القراءات ومشارق الأنوار في الكلام والأربعين حـديثا النبويا.

واستغل أبي اليقظان كل ما يحيط به كي يتسنى له صغل مواهبه. ففي سنة 1912م التحق بجامع الزيتونة بتونس طالبا. والشيء الذي يميز شيخ أبو اليقظان هو اهتمامه بقراءة الصحف (امحمد، 3/2 نوفمبر2013، صفحة 347)، ويمكن اعتبار أول محاولة لتحرير الصحيفة كانت سنة سنة 1913م، حيث

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وحررهابيده وكانت مكونة من 6 ورقات سماها (قوت الأرواح) وهذا دليل عن ميوله للكتابة وتعبيرا عن رغبته الكبيرة في دخول غمار العمل الصحفي؛ ورد عليه صديقه المقرب (الحاج عمر بن العنق) بمقال صحفي بعنوان (الرحيق المختوم). ويمكن اعتبارها أول تجربة لأبي اليقظان وصديقه في مجال الكتابة الصحفية (الناصر، 1983، صفحة 20).

وأما ما يخص التعليم الثانوي عند القطب أطفيش (التعليق 6) (بـيزقـن)، فلقد انتقل في سنة 1917م وكان عمره لا يتجاوز 19 سنة دخل معهد القطب أطفيش في التعليم الثانوي، ثم انتقل الشيخ ليكمل تعليه العالي في جامع الزيتونية والمدرسة الخلدونية (الناصر، 1983، صفحة 23) وتلقى الإشادة وهو في عمر 18 سنة من طرف المجاهد (الكـبير الليبي سليمان الباروني) (التعليق7)، إذ قال فيه: "... **لقد أطاعك القلم في النظم والنثر...**". (الإسلام، ب س، صفحة 110). ومن مآثر الطيبة للشيخ أبو اليقظان، هو إحساسه بروح المسؤولية من خلال شروعه في العمل في الفلاحة والتجارة بهدف اعانة العائلة واعالة اخوته الصغار، فاضطر للعمل الشاق في الفلاحة ورغم ذلك لم يتوقف عن تلقي الدروس في المسجد.

3.2. رحلاته للحج و تعليمه في تونس

سافر أبو اليقظان في سنة 1909م إلى الحجاز لأداء مناسك الحج رفقة أساتذته، وكان مولع وشغوف بطلب العلم فلم يرى من البعثات العلمية الميزابية إلا سبيل لنيل العلم، فلقد هم في رحلته للحج مرورا بأزقة الشام ومن خلالها كان يسأل عن الشيوخ والعلماء الأفاضل لكي ينال من بحر علمهم الغزير (قسوم ، ب س، صفحة 29) فاكتفى بتلقي بعض الدروس في الحرم المكي مدة ثلاثة أشهر، تم عاد إلى الوطن بواسطة قطار عبر(دمشق فبيروت فأزمير، ثم طرابلس). وفي ظل هذا كان الحجاج الجزائريين بخضعون لرقابة شديدة من طرف السلطات الفرنسية؛ مما جعل من أبي اليقظان يدخل بوثائق لا تحمل اسمه ممتعضا لما حصل لشيخه عمر بن يحيى؛ الذي تم اسره في أحد مراة بعد عودته من مناسك الحج، وقـام بقص اللحية ولبس لباس يحمل معالم الحضارة الغربية وبوثائق لرجل مغربي يسمى (سليمان بن داود المغربي) (اليقظان، 2021، صفحة 31).

ترأس أبو اليقظان في سنة 1914 م أول بعثة ميزابيه إلى تونس، لكن حرب العالمية الأولى حالة دون استمرارها بفعالية ودام هذا الجمود 10اشهر، فكان تمثل البعثة العلمية الميزانية قطرة أمـل ومنبع يزخر بطاقات فكرية جزائرية ويمكن اعتبار هذه البعثـة أبرز ملامح التكامل الفكري المغاربي – تونسي، جزائري – في بداية القرن 20م ويذكرها في كتابه فيقول: "... **وجود طلاب الميزانية ألهب الشعوري خاصة حركة الدستور بها، وبلوغها عنفوانها وأعلى ذروتها منذ 1917إلى غاية 1920م** (أبي اليقظان،2003، صفحة11).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وتعرضت البعثة الميزابية إلى تشويه ومغالطة التي بدأت منذ 1920م، من طرف مجموعة من الفقهاء والمعارضين من وادي ميزاب الذين شنوا حملة ضد هذه البعثات بغير حق، مما استفحل الخبر بين أوساط الأسر وجعلهم يرفضون التحاق أبنائهم ويبرز هنا ضراوة المشهد ودور أبو اليقظان من خلال حملاته الصحفية حول دوافع وأسباب التخلي عن هذا طريق الصحيح. فبدأ من خلال جريدة الإقدام للأمير خالد (مفدي، 2003، صفحة 65)؛. وأرسل رسائل إرشادية بعنوان (إرشاد الحائرين)، ومن آثار الوخيمة على هذا النشاط الممارس هو إبعاد شيخ المصلحين "**أبي إسحاق أطفيش**" (التعليق8) من تونس إلى مصر كي تهدأ النفوس (سنة 1923 م) (مفدي، 2003، صفحة 165).

ويمكن اعتبار فترة ما بين (1917– 1925) ازهى مراحل ابي اليقظان في نشاطه الصحفي من خلال مساهمته في الصحف التونسية، وكذا ما ألفه من قصائده الشعرية ومقالاته الأدبية والديني؛ وأظهر دعمه للقضية التونسية وذلك من خلال تتبعه لنشاط السياسي لحزب الدستوري الجديد، فكانت له علاقة وطيدة لأستاذه في العلوم السياسية "**عبد العزيز الثعالبي**" الذي يعتبر من بين زعماء هذا الحزب في تونس، ويمكن القول أن الشيخ أبي اليقظان أخذ ينشط في حزب الدستوري التونسي – القديم – إلى جانب الجزائريين مقيمين هناك (قسوم، ب س، صفحة 117) وكل هذا اكسب الشيخ أبو اليقظان قدرة على تحليل واقع المغرب العربي، وما يتعرض من تمزيق الذي وظفه الاستعمار لبقائه فكان شديد اللهجة خاصة ما تعلق بقضايا التكامل المغاربي؛ في ظل استعمار واحد ونبذ كثير كل أنواع التعسف والاضطهاد التي مارسته فرنسا ضد نشاطه الصحف (أبي اليقظان ، 2003 ، صفحة 32).

أما بالنسبة لتعليم العالي فقط دخل في "**المدرسة الخلدونية**" (التعليق 9) على يد مشايخ كان لهم صيت في الحركة الإصلاحية، نذكر منهم الأستاذ(الطاهر بن صالح الزواوي) في اللغة الفرنسية، أما بالنسبة لتواصله مع رجال العلم والإصلاح، فلقد التقى الشيخ (صالح ابن يحيى) عضو اللجنة التنفيذية في حزب الدستور التونسي القديم – عم مفدي زكرياء – و(سليمان الجدوي)، والأستاذ (عثمان الكعاك) المؤرخ الشهير وكذا التقى مع فحول الشعراء نذكر منهم (الشاذلي خزندار) (حلوش، 2013، صفحة 77) وفي سنة 1925م رجع إلى غرداية (قرارة) حيث أنشأ معهدا عصريا للتعليم باللغة العربية وتعرض لمضايقة شديدة من طرف أعداء النجاح والإدارة الاستعمارية، وقد ساهم هذا المعهد في بعث نور الأمل في الجنوب الجزائري (حلوش، 2013، صفحة 77، 78).

في ظل تكوين طبقة من حملة العلم الذين أكملوا دراستهم في تونس. فصارت المنطقة الميزابية معلم فكري إصلاحي، ومن بين الذين أسهموا بشكل كبير في نشاط الحركة الاصلاحية بشكل خاص وزيادة من نشاط الحركة الوطنية في الجنوب الجزائري، ورغم اقفال الأقلام المعاصرة لهذه الحيوية والنشاط بما في تلك الفترة. فأسهم أبو اليقظان أولا في ضرورة التفكير في النشاط الصحفي في الجزائر وتجسد ذلك فعلا منذ 1926

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى غاية 1938 في انتاج صحفي يلامس الجانب الإصلاحي يرقى لتطلعات المجتمع ويواكب التقدم الفكري الحاصل في قاطبة التـونسية (عثمان، 1989، صفحة 31).

3. تعريف جريدة وادي ميزاب وإبراز جوانب من محتوياتها والصعوبات التي واجهتها

1.3. جريدة وادي ميزاب وإبراز جوانب من محتوياتها

تعتبر أول انطلاقة صحافية لشيخ أبو اليقظان سنة (1926م) (سيف الإسلام ، 1985، صفحة 114)، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة صدرت وادي ميزاب في ظروف استثنائية قاسية. فلقد تم تحديد قواعدها الجوهرية وتحديد نمطها وبرنامجها وتقديم شعارها ومبادئها وخطها الأساسي الافتتاحي كانت محل متابعة من طرف السلطات الفرنسية، لكن رغم ذلك تم تحرير أول عدد لها بتونس ليلة 6 محرم 1345 هـ/ الموافق ل 7 جويلية 1926م (الناصر، 2003، صفحة 7). وتجدر الإشارة لدور أصدقاء الشيخ أبي اليقظان في مساعدته على رأسهم (الشيخ محمد بن الحاج صالح الثميني) والأديب (قاسم بن عيسى ابن الشيخ) وتم أخذ رخصة الامتياز باسم السيد (قاسم العنق)، وتم طبعها في تونس وتوزع بالجزائر واستمرت على هذا النهج مدة عامين ونصف دون توقف أو تأخر (مفدي، 2003، صفحة 160)؛ وعبر الشيخ أبي اليقظان عن فرحته قائلا: "...**في أكتوبر 1926 من ثالث ربيع الأنوار 1345 كانت جاهزة تجوب الربو وتروي الزهاد وتنعش الصحراء، فاهتزت الأمة الجزائرية جمعاء شمالا وجنوبا. كان الهدف من تأسيس جريدة "وادي ميـــزاب" هو إعادة بناء الشخصية الوطنية والتمسك بمقوماتها لذلك انحصرت أغلب موضوعاتها عن الأخلاق والقيم والعمل على تربية المجتمع ونشأته تنشئة صحيحة وفق ما دعا إليه القرآن الكريم...**) (سعد الله، 1998، صفحة 264).

عبرت الجريدة عن الانتماء الوطني الإسلامي، ونهلت منهج الصراحة في طرح وملامسة الواقع المعاش وتجلت من خلالها محاولته لتصدي للقوانين الفرنسية الجائرة، فلقد اعتبرها الشيخ عبد الحميد ابن باديس صوت من الجنوب ضد الممارسات الاستعمارية؛ ويعود سبب المباشر لفكرة إنشاء صحيفة وادي ميزاب هو قيام أبي اليقظان بإرسال مقال أراد أن ينشره في جريدة الشهاب أو المنتقد. الذي كان تقريرا مفصلا لوضع الاجتماعي ونظام الأسري في منطقة وادي ميزاب بعد إثنى عشر سنة من تطبيق التجنيد الإجباري في منطقة وادي ميزاب، لكن هذا تقرير بعنوان (إرشاد الحائرين) لم يتم نشره، فكان سببا جوهريا لإسراع الشيخ – وهو في تونس– في استصدار هذه الصحيفة في أول عددها بـ "**الشهاب ومجلة موران**".

واستعرض من خلالها الممارسات الاستعمارية من مضايقات وتعسف جراء العمل الصحفي، ولعل من المناهج الصحفية التي اتبعها أبي اليقظان وصحافته (الصراحة، النزاهة والصدق، الأصداء بالحق خدمة الصالح العام) ولا تعرف الموازنة والتملق والكذب والنفاق سبيلا لها (بلحاج،2011– 2012، صفحات 42–43).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.3. الصعوبات العراقيل التي واجهتها

وقد أعطى أبو اليقظان في صحيفة وادي ميزاب تعبيرا واضحا لمفهوم الاصلاح الاجتماعي للصحافة الوطنية قائلا : "... **ان حالة المسلمـــــــين الأسفة تستدعي الاهتمام بالنفس وضرورة اصلاحها واعتناء بها فالجهل العام والفقر المدقع والافتراق والتخاذل قد أذهم بريحهم وأبقى امراضا سائغة للفجور والخمور قد سرت عدواها في جسم الأمة فمسخت العقول والنفوس وعطلت المواهب ...إن إصلاح ذلك يستدعي علما يستدعي مالا يستدعي نفوسا عظيمة ورؤوسا كبيرة وأدمغة مفكرة ورحابة صدر واسعة...**" (إمضاء، 1927).

لكن كان الوضع الثقافي في الجزائر صعب بسبب تشديد الرقابة التابعة للإدارة الفرنسية، ورغم كل تلك الظروف القاسية خاصة ما تم فرضه –اللغة الفرنسية– من طرف السلطات الوصية في الجزائر التي كانت حاجزا منيعا يصد كل أفكار الشيخ ومساعديه، ويذكر الشيخ أبو اليقظان المعاملة السيئة من طرف الإدارة الفرنسية فيقول: "...**ونحن لا نشك أيضا أن حسن نية الوالي العام قد خدعتنا أيضا فليس السيد بورد بالرجل الذي عليه المناورات التافهة وهو المعروف بصراحته القاسية، فقد عطل وجعل السيد الوزير يعطل جريدة (وادي ميزاب)، ولكنه قطعا لم يفعل ذلك إلا نتيجة لقرار صادر من أحد أعوانه ...**" (أبي اليقظان، 2003، صفحة 74).

لم تمنع الجريدة من الصدور في موعدها المحدد بالإضافة لعدم توفر الطابعة العربية في الجزائر، رغم ذلك تم صدور (119) عددا خلال ستة وعشرون (26) شهرا، كانت تعبيرا واضحا لحياة الأمة الميزابين وتعنى بالأمة الإسلامية والجزائرية خصوصا (فيصل، 2014، صفحة 90). ويروي الشيخ أبي اليقظان في حوار مع الصحفي الكاتب زبير سيف الإسلام فيقول: "... **فإن إدارة الجريدة في الجزائر وطبعها في تونس لا يعرف صاحبها أهواله إلا من باشرها، وقد زارني في أثناء ذلك الخديوي عباس في بعض رحلاته على شواطئ إفريقيا الشمالية فقابلته في يخته –نعمة الله – فسألني أين إدارة الجريدة وأين طبعها فأجبته قائلا ك مقر إدارة الجريدة في الجزائر وطبعها في تونس ن فأجاب: ما شاء الله إدارتها في الجزائر وطبعها في تونس ما شاء الله ...**" (الإسلام، ب س، صفحة 114).

في الحقيقة كان في الجزائر العديد من المطابع لكن كانت هناك نوعين في طريقة الكتابة، إما تلك التي تساير وجود السلطة الاستعمارية أو تخضع لرقابة المستعمر أو تلك التي تهادن بطريقة ذكية وتمرر أفكارها للقراء حول القضايا الوطنية دون معرفة غرضها، ويبرز ذلك أبي اليقظان فيقول: "... **أنه لا يوجد لمطبعة عربية تخدمنا، بل ما يوجد في الجزائر هو ما يساير الأهواء الاستعمارية، ونحن كما تعلم أهواؤنا وطنية عربية إسلامية، فكيف تتلاقى بتلك المطابع التي يديرها أهواء الاستعمار، ونحن لذلك كابدنا مشقا في إنشاء المطبعة العربية في الجزائر...**" (فيصل، 2014، صفحة 37، 38). سارت الجريدة وفق خطة محكمة مستوحاة من واقع الأمة الجزائرية غايتها توعية الجزائريين وبناء الشخصية الوطنية والتشبث بمقومات الأمة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العربية الإسلامية . تعرضت هذه الجريدة لمصاعب جمة لأولها الإدارة الاستعماري التي استفحلت لهجت الشيخ المعادية ضد وجودها، نذكر العدد 17 الذي صدر في 21 يناير/ جانفي 1927م، الذي كان مضمونه (الاعتماد عن النفس)؛ وتم من خلاله حيث تم تشخيص الوضع المزري للأمة الميزابية (الإسلام، ب س، صفحة 19).

مما أدى إلى استدعاء الشيخ من طرف الإدارة الاستعمارية وتعرض لمضايقات كثيرة، حتى تم تعطيلها في18 يناير/ جانفي 1929م بسبب الوشاية والرقابة الإدارية الاستعمارية، وتجدر الإشارة إلى الموقف المشرف للأمة ضد هذا القرار الجائر؛ حيث شهدت احتجاجات وبرقيات في سائر البلاد من صحفيين ومصلحين أدانوا هذا التعطيل وبلغ عددها (450 برقية) حسب الإدارة الفرنسية العامة في العاصمة؛ وهذا ما زاد من عزيمة الشيخ رغم تعرضها لمضايقات في إنشاء صحف أخرى (أبي اليقظان، 2003، صفحة 41).

4. اهتمام جريدة وادي ميزاب (صحافة الشيخ أبو اليقظان) بالتعليم وتربية النشء

لقد تأثرت الحركة الإصلاحية الجزائرية بأفكار الشيخ أبو اليقظان من خلا ل المقالات التي تطرحها صحافته وتم اعتبارها على أنها أفكار تجديدية تصلح لكل زمان ومكان، فلقد كان له دور كبير وواضح المعالم في إنماء رغبة العلم والتربية الصالحة لأبناء مسقط رأسه، منذ أن كان يرأس البعثة الميزابية في تونس، وساهم في إثراء التيار الفكري الإصلاحي والمنهج العلمي السائد آنذاك في كل إرجاء وادي ميزاب (غرداية) (بالحاج ،2017. ص 28)، ولما نعود إلى جرائد وفق اطلاع وتدقيق نجده صحافته صحافة (رأي وموقف وفكرة لقضايا التربية)، فكانت السباقة لطرح ذلك في أوساط المجتمع منذ إصدار جريدته الأولي وادي ميزاب، إذ ألح من خلالها على لضرورة التخلص من الجمود الفكري والانحلال الأخلاقي والتشبث بالتربية الحميدة والدعوة إلى الكد في كل ميادين التعليم لمواكبة التطور الحاصل سواء قطريا (المغرب وتونس والمشرق العربي) أو عالميا (ما يحدث للعالم من رقي واكتشاف) (بالحاج، 2017، صفحة 178).

وجعلت من تربية الأمة تربية صحيحة وفق نهج إسلامي والتي من خلالها تغرس مكارم الأخلاق في كل الأمم وتنفيرها من الانحرافات والمفاسد (بكلي، 2004. ص105)؛ ويبرز ذلك في مقال أبو اليقظان في جريدة الأمة بعنوان (أمات الرجال أم رفع القرآن) فيقول: "...**تلك التي تقذفها المدارس والكليات والجامعات الأوروبية من أبناء المسلمين ...يلعنون الإسلام ويتبرؤون من القرآن وينتقصون تشريعه وأحكامه** ..." (أبو اليقظان،27 أفريل 1937م، صفحة3) وتم ربط معالم التربية الصحيحة لنشء عندما تبدأ؛ يجب أن تكون مقرونة بالتكوين النفسي والجسمي والعقلي وأن يتم مسايرة الأطفال حسب عمرهم ومدى تعلقهم بأسرة؛ خاصة دور الأم لأنها على حد تعبير الشيخ أبو اليقظان (مدرسة سائرة دون تأثيث أو معلم)، ولا تكمن هذه العناية إلا بمقاومة مظاهر الضعف النفسي وتفشي مركبات نقص في تكوين الناشئة الطفل مما تجعله معرض لتأثر بالمجتمع الغربي الدخيل (الناصر، 1989. صفحة79). ويثني أحمد بن جمعة في مقال في جريدة المغرب

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العدد 19 على دور المرأة في تربية الطفل والنـشء فهي أساس بناء الشخصية ومن خلالها أيضا تغرس مبادئ التربية الصحيحة، فإذا صحت عاش الطفل كريما طيبا وصادقا (جمعة 07 كتوبر 1930).

لذا ينبه الكاتب على الدور المنوط للأم فهي التي تلاحظ تغير تصرفات ابنها منذ نعومة أظافره، ويركز كذلك دورها في تهيئته لرغبات نفـسه منذ الصغر على نهل الـــعلم والتعلم، ويلاحظ الكاتب هنا أن الأب يكمن دوره في رعاية وتوفير كل ما يحتاجه من عيش (لباس والأكل والشرب ومنزل)، وهكذا يستقيم النشء على حد قوله (تعزز التربية الحسنة في المجتمع الجزائري). وكانت صحافة أبو اليقظان لاذعة لما وصلت إليه الأخلاق الفاسدة التي بدأت تنتشر بين شباب الأمة من خلال ابتعادهم على منابر العلم وتركيز اهتمامهم على تقليد الغرب، وتم طرح ذلك في مقال مكتوب في جريدة وادي ميزاب بعنوان (عنـاصر الرقي) لكاتبها الذي يحمل اسم مستعارا (العرفان) وأكد محمد صالح الناصر أن أبو اليقظان قد كان يكتب بأسماء مستعارة وذلك لجرأة تصور كتابته واستهل هذا المقال بأبيات شعرية فيقول:

هـــي الأخلاق تنـــبت كالنبات إذا سقيت بمـــاء المكرمـــــات

تقوم إذا تعهدها المـــــربي عـــــلى ساقي الفضيلة المثمرات

ويقول كذلك: "... **فـرقـي الأمة وأبـــنائها أنما هـــو بغرس الأخلاق الفاضلة في عقولهم وأدمغتهم لتسموا وتنموا نموا باهرا حيث تؤولهم للقيام بتحسين الإصلاح مستقبلهم الزاهر** ..." (العرفان، 01 جانفي 1927، صفحة 4)، إن مهمة التربية مهمة جليلة ونبيلة وشريفة وهي أساس النجاح والفلاح والتربية عند أبو اليقظان وصحافته هي الأخذ بالحسن والإتقان للنفس يافعة مع تحقيق مبدأ الاهتمام وتوفير العطف والحنان تـجاه فلذات أكباد أمهات الأمة. وتشمل التربية جميع ميادين الحياة فـهي ميدان التعليم والتدريس، فإن التخصص أمسى ضعيفا بفقدانه لمعنى التربية الحقيقة، فرغم أن الغرب ينشئ جـامعات تهتم بتخصص (تربية الطفل) إلا أنها تفتقر لوسيلة الترابط (الدين والأخلاق)، فهذان مركبان أساسيين حسب الشيخ أبو اليقظان لتكوين الشاب السوي في مجتمع يشوبه التفرنس والتجنيس (بدون إمضاء، بيان الحقيقة 14 جانفي 1927م، صفحة 3).

ولقد دعا أبو اليقظان لضرورة ربط التربية بالتهذيب الإسلامي منذ أن يكون الطفل يافعا أن يتردد للمساجد (المسد)، ليتعرف عن رباط الدين ويـتعرف على وسائل بناء المجتمع الجزائري. ويذكر ذلك في جريدة وادي ميزاب وأختار لهذا الغرض في النصح والإرشاد عنوانا مناسبا (نحن إلى التربية أحوج منا للعلم) وتكرر هذا المقال من العدد الأول إلى العدد الرابع، وأظهر فيه أبو اليقظان – بدون إمضاء – حرصه على إيقاظ ومجابهة تمزيق المجتمع مـن خلال القضاء على أصول التربية التهذيبية الإسلامية.

ويقول في هذا الصدد :"... **تتضح مما تقدم أن أساس الحياة الحقيقة أنما هي التربية الصحيحة وأن هذا النوع من التربية قد وضع الله ورسوله قواعده في القرآن الكريم والسنة المحمدية، وقد رأينا نشأة الصحابة على أثره رضوان الله عليهم وأرضاهم ودرج عليه السلف الصالح من بعدهم ونسجوا على منوالهم**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فواصلو وتركوا الأثر... ولما تغيرت الأوضاع وأساليب التربية وأصبح التعليم صناعيا جافا خاليا من روح التربية والتهذيب الإسلامي أجدبت النفوس وأقحطت القلوب بعد اخضرار والازدهار فتقلص ظل العدالة ... فلو تتخذ قادة الأفكار سرداب العقول من القرآن والسنة منهاجا ..." (بدون إمضاء ، نحن إلى التربية أحوج لعلم 15 أكتوبر 1926م، صفحة 2).

ولا شك أن طرح صحافة الشيخ أبو اليقظان لقضايا التربية جاء وفق فترات متكررة ولمجموعة مـــن مقالات، غالبا ما كانت تدعوا للحرص على تهذيب النفس ومحاولة الإبعاد عن التعليم وتدريب الصناعي (التربية الحديثة)، ويبرز ذلك فيقـول: "... **وقبل أن يهتم المصلحون بث التعليم الصناعي يجب أن يصرفوا همهم فـــي تربية النفوس وتهذيب الأخلاق فيهبوا للعلوم التربية راكبة حتى تنبت فينا نبات حسنا وتثمير الأمة ثمارا يانعة وسلكوا بالنشأة مسلك الأم الحاذقة عن رضيعها ن كما روي في سير وعبر صفحة 516 عن الشيخ أبـــي يعقوب محمد بن بدر الدرفي ...**" (بدون إمضاء، نحن إلى التربية أحوج لعلم 15 أكتوبر 1926 . صفحة 3) .

أما بالنسبة لنقيض ذلك فإن عديم التربية والذي لم يأخذ قسطا من مدرسة تهذيب النفوس فقد ذاق وبال أمره، فلا يستطيع الحوار ولا المسائلة تتربى ذخيرة نفس على كبت الذات وتملق؛ بل يبقى حبيسا بين طيات الغباء والتكبر، ويقول أبو اليقظان في هذا الصدد: "... **إن عديم التربية الصحيحة لا يعرف كيف يستفيد من مواهبه فلا يعرف كيف يستفيد من جسمه ولا من عقله ولا من ذكائه ولا من علمه ولا من جاهه ولا من ماله، بل وأكثر ما تكون هذه الوات وبالا عليه وعلى من له علاقة، فتصبح مثل السيف الحاد الذي يقسم كل شيء لنصفين ...**" (بدون إمضاء، نحن إلى التربية أحوج منا إلى العلم 08 أكتوبر 1926م، صفحة1).

ولعل سيمات الخلق تتضح من خلال التربية المهذبة والحسنة والتي تشهد تأثيرا بارزا في تكوين المجتمع الذي تفشت فيه مظاهر الانحطاط والبدع، التي كانت تمارس من قبل الشعب فإن اللوم على ذلك يرجع بحسب عبد الحميد ابن باديس إلى العلماء الذين حادوا عن دورهم وهو حماية المجتمع من كل ممارسة تخلف الدين؛ وبالتالي سمحوا للبدع أن تنتشر وتتسلل للمجتمع الإسلامي وبالتالي تتأثر الأخلاق والتربية خاصة بالنسبة للعلماء ولكل المصلحين (بدون إمضاء، نحن إلى التربية أحوج منا إلى العلم 08 أكتوبر 1926م، صفحة 3).

ومن ثم حاول الإصلاحيين إعادة تأهيل المجتمع للوقوف أسسه الحقيقة، ويذكر ذلك أبو اليقظان موضحا المكلفون بمهمة مرافقة التربية الحسنة فيقول: "... **إن الإصلاح هو إصلاح فروعا ولكل فرع منها طبقة من الرجال تتوفر بما لديها من الاستعداد الفطري لتربية... ويمكن إبراز الواقفين على تحريرها من قبضة التدنيس في المجتمع الجزائري... أولا العلماء فهؤلاء ستر الأخلاق والتربية والتعليم والعرفان والتمزيق لأغشية الجهل وترقية المدارك ورفع المستوى العلمي والأخلاقي في الأمة... ثانيا رجال شرع الرسميون فهؤلاء لهم سمعة وهيمنة على العاصمة وضبط سيرها والمحافظة على عقائدها... ثالثا دعاة المرشدون**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والمصلحون المفكرون... رابعا الكتاب والأدباء فهم مرشدو العقول ومثقفيها... خامسا رجال القضاء والموظفون الإداريون المسلمين علهم في خدمة التربية الصالحة في المجتمع..." (بدون إمضاء، 15 جانفي 1927م، صفحة 4). إذن يمكن القول إن الأخلاق الحميدة والتربية هما عماد لبناء المجتمع الصالح، ولعل أثر الاستعماري في ممارسة التدنيس وتوظيف كل من الزوايا في تمسيخ أخلاق المسلمين؛ بالإضافة لمحاولة القضاء على روابط الأمة من دين وعرق ولغة، جعلت المجتمع الجزائري في مرحلة ما من تاريخه تائه بدون هذه المعالم.

تحدث الشيخ بكير بن سليمان عن أهمية الأسرة والمدرسة في التربية والتعليم، وذكر أن الأخلاق تنبت كالنبات، إذا سقيت بماء المكرمات، قاصدا بذلك أن التربية هي تهذيب للنفوس وتعويدها على الأشياء الحسنة والأخلاق الفاضلة وسقيها بماء الإرشاد والنصيحة حتى تصبح ملكة راسخة، وبالأخص عند الأطفال الصغار، وثانيا يرى أن التربية الناشئة متوقفة على الوالدين والمعلمين بشكل كبير، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي: الدور المنزلي ودور المدرسة، أما دور الثالث فخصصه للعمل داخل المؤسسة. (سليمان، 1927، صفحة 3) لقد كانت مسيرة التربية والتعليم في فكر الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب مبنية على عدة مجالات أهمها: توعية الناس بأهمية التعليم وإلحاق أبنائهم وعدم قطعهم على الدراسة وسط الطريق، والدعوة إلى الإنفاق عليهم ببناء المدارس وأماكن الإيواء وصرف الأجور (سليمان، 1927، صفحة 4).

ولإصلاح الخللّ الموجود في المنظومة التربوية دعا أبو اليقظان إلى مراعاة تحسين حالة المعاهد العلمية الحالية، وكذا زيادة المعاهد الجديدة ومراعاة تحسين أسلوب التعليم وإدخال نظم جديدة عليها، وكذا تأسيس المكتبات وانتقاء الكتب القيمة لتسهيل المراجعة وإرسال البعثات العلمية إلى المراكز التعليمية لإكمال دراستهم ومساعدتهم على ذلك (اليقظان، كيف الوصول إلى العلم النافع، 1926، صفحة 1). وقد علق أبو اليقظان حول هذا الموضوع قائلا:" ... **فعلى القارئ الكريم أن يتساءل ماذا تفعل الأمة حتى تبلغ ذلك المرام الأسمى والمثل الأعلى؟ نعم لا تفعل شيئاً غير أن تعتقد أن السعادة كل السعادة في العلم وأن التعاسة كل التعاسة في الجهل فتصرف عنايتها وتجمع همتها وتوجه قواها إلى العلم وتستخدم مواهبها وتستثمر ذكاءها وتستخرج نبوغها بالعلم وتسير في سبيله جادة لا هازلة بدون كلل أو ملل حتى ينتشر العلم ويعم نور العرفان كافة طبقات...**" (اليقظان، كيف الوصول إلى العلم النافع، 1926، صفحة 2) (اليقظان، كيف الوصول إلى العلم النافع، 1926).

من خلال ما تم عرضه من معطيات حول نظرة أبي يقظان لتربية الأمة من خلال التعليم الصحيح فإنه يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات نجملها فيما يلي:

– إهمال الإنسان وعدم تربيته وتعليمه وتثقيف عقله وتهذيب نفسه يؤدي إلى انتشار الآفات الاجتماعية، كما يساعد على الانحطاط الخلقي للمجتمع.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– يرى أبو اليقظان بأن التعليم الصحيح هو الذي يفتح عيون الأمة وينشر راية الإسلام والعروبة في هذه الأرض المحتلة، ولا يمكن أن ينتشر هذا العلم النافع إلا إذا توفّرت شروط في الفئات الأساسية في المجتمع، وبخاصة العلماء والأغنياء والآباء.

– يستلزم من أولياء التلاميذ تعليمهم وتوفير لهم من المصاريف والنفقات، حتى ينالوا من العلم حظا وافرا يكون زادا لداري المعاش والمعاد، هذا إن قدروا، وأماّ من لم يقدروا فعلى الأمة أن تتكفل بأبنائهم الأذكياء حتى يبلغوا مرامهم.

– أولى كل من الثعالبي وأبي اليقظان في منشوراتهما الصحفية عناية خاصة بالتعليم والتربية كرافدين أساسين للنهضة، واعتبر الثعالبي أن علاج التدهور وفقدان الشخصية المعنوية للأمة لا يكون إلا "**بالعلم وإنشاء المدارس**" على أن تقوم هذه المدارس على أساس من قواعد بيداغوجية وخطة يضعها أخصائيون في سياسة التربية والتعليم.

– تعتبر التربية وظيفة أبوية في الحقيقة، لكنها قد انتقلت من عهد بعيد من الأب إلى المعلم، حيث ساد الجهل في هذه الأمة، ويعتبر المعلم المثلث الأعلى الذي يقتدي كي يكون المتعلم مستقيماً.

ويقول أبو اليقظان في هذا الصدد: "... **إن عديم التربية الصحيحة لا يعرف كيف يستفيد من مواهبه فلا يعرف كيف يستفيد من جسمه ولا من عقله ولا من ذكائه ولا من علمه ولا من جاهه ولا من ماله، بل وأكثر ما تكون هذه الوات وبالا عليه وعلى من له علاقة، فتصبح مثل السيف الحاد الذي يقسم كل شي لنصفين** ..." (اليقظان، كيف الوصول إلى العلم النافع، 1926، صفحة 3). ولعل سيمات الخلق تتضح من خلال التربية المهذبة والحسنة والتي تشهد تأثيرا بارزا في تكوين المجتمع، الذي تفشت فيه مظاهر الانحطاط والبدع، التي كانت تمارس من قبل الشعب فإن اللوم على ذلك يرجع بحسب عبد الحميد ابن باديس إلى العلماء الذين حادوا عن دورهم وهو حماية المجتمع من كل ممارسة تخلف الدين (سليمان، 1927، صفحة 2 ،3)؛ وبالتالي سمحوا للبدع أن تنتشر وتتسلل في المجتمع الإسلامي، وبالتالي تأثر على أخلاق التربية بالنسبة للعلماء ولكل المصلحين.

وتجدر الإشارة لدور جمعية علماء المسلمين في هذا الصدد من خلال تنشيطها لممارسة التعليم الحر والذي بدأ من العاصمة وقسنطينة وانتشاره المكثف في كل ربوع الوطن، ولعله حلقة من حلقات الكفاح ضد الممارسات الثقافية الفرنسية في الجزائر فبالنسبة للتعليم الحر بمفهومه العصري الصحيح هو الذي أنشأه ثلة من المصلحين تنوعت مشاربهم مشرقا ومغربا، الذي أضحى بالمرصاد لمحاولات الاستعمارية البائسة في إذابة المجتمع الجزائري في تهجين اللسان للفرد الجزائري، ولقد عبر عبد الحميد ابن باديس عن هذا التصدي قائلا: "...**إني أحارب الاستعمار لأني أعلم وأهذب؛ فمتى انتشر التعليم والتهذيب في الأرض أجدبت على الاستعمار، وشعر في النهاية بسوء المصير**..." (اليقظان، كيف الوصول إلى العلم النافع، 1926).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مع مطلع القرن 20 صدر في 24 ديسمبر 1904م الذي من خلاله يمنع كل جزائري أو مستوطن أجنبي أن يفتح مدرسة إلا برخصة من (عامل العمالة) ، والذي يخالف هذا القرار فإنه يتعرض لعقوبة السجن والتغريم؛ ثم أن هذه الرخصة وحتى وإن أعطيت فإنها تخدم مصلحة الاستعمار لا محالة؛ أو تعطى للذين تجنسوا ودخلوا في خدمة الاستعمار، وهذا ما صرح أحد مديري مكتب الشؤون الأهلية بالجزائر فيقـول: "... **لقد أذللنا الدين الإسلامية وبلغ به الأمر أن لا يعين إمام أو فقيه أو طالب إلا إذا شارك في أعمال الجوسسة الفرنسية كي يرتقي من الدرجة ويثبت قدر الولاء والإخلاص للإدارة الفرنسية...**" (الإبراهيمي، 1948 صفحة 267).

فمن هذا المنطلق ولد التعليم الحر في الجزائر ليقوده رجال البلاد إلى النهضة الشاملة؛ وإلى الحرية والكرامة وأخذ السيادة وكذا تمكين الأمة من مكوناتها المجتمعية؛ ويبرز ذلك أبي اليقظان في مقال الذي خصص له أكثر من ثلاث أعداد يعالج عينات المجتمع وكيفية تحقيقها لتعليم الصحيح بعنوان (كيف الوصول إلى العلم النافع) فيقول :"...**يجب أن توجه الحياة كلها لعلم والتعلم حتى نعيش كأمة كاملة الحيازة، لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، وكان بالقارئ الكريم أن يسأل ماذا تفـــعل الأمة حتى تـــبلغ ذلك المـرام الأسمى والمثل الأعلى** ... " (بدون إمضاء، كيف الوصول إلى العلم النافع، 26 / 11 / 26، صفحة 3).

ومن خلالها استمد المجتمع الجزائري التنشئة السليمة وعودة اللغة العربية لنهجها الصحيح بعد سبات دام أكثر من مئة سنة من وجود الفعل الاستعماري، الذي يقوم على أساس تهجين اللغة العربية وطردها من لسان الجزائري، فكان أساس جديد لبناء وطنية صحيحة؛ ويثني ذلك الشيخ البشير الإبراهـــيمي في مقال تم نشـــره في جريدة البصائر العـدد 54 (1948-10-25)، فيقول:"...**هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية، وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح وفكر وذهن وتقوية المقومات الاجتماعية من دين ولغة وفضائل وأخلاق هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر**...". (الرافعي، ربيع الأول 1355هـ/جوان1936م، صفحة 123).

ولقد ركز الشيخ أبي اليقظان على ضرورة زيادة عدد المعاهد التي تساير التجديد الحاصل في كل الأوطان العربية الإسلامية خاصة في المقاييس التي يدرسونها؛ إذ تشهد الضعف والتدني في المدارس أو الكتاتيب في الجزائر. ويرى أن طبيعة الأسلوب القديم قد زاد من وهن الأمة فاعتماد فقط عن حفظ القرآن دون الانفتاح عن العلوم الأخرى يسبب نقص التكوين والدراية بما يحيط من تغيرات مجتمعية عصرية سواء في المشرق أو المغرب – يقصد تونس – ويقول في هذا الصدد : "... **يجب تحسين حالة المعاهد العلمية الحالية من الجانبين المادية والأدبية وجعلها في شكل جميل يستهوي أنفس الطلاب للإقبال على العلم دون الملل ويكون ميولهم شهية التعلم وقابلية الهضم ...ثانيا بتحسين أسلوب التعليم وإدخال النظاميات الجديدة في**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مجاريه وحذف التعاريج والمنعطفات التي في طريقة توفير الوقت ووصول بالتلميذ إلى أبعد مدى في أقل زمن ... كذلك ما يلاءم المناهج من خلال تدرجها ..." (فضلاء ، 1999، صفحة 18).

ولعل من أهداف الوجود الاستعماري هو للقضاء على الجانب الثقافي للجزائر وفصلها عن حظيرة ركب الدول العربية الإسلامية، وإلحاقها بالنصرانية فمنذ بداية الاحتلال ومن خلال ممارساته أظهر حقده للغة العربية التي هي لغة القرآن. فكانت بذلك فصلا من فصول الحروب الصليبية وجعل صوب اهتماماته قتل اللغة العربية التي تعتبر أداة لتواصل الأجيال ومسح المجتمع من الذات الجزائرية العربية الإسلامية الأصيلة (سعد الله ،1998، صفحة 47).

إن إدراك أبي اليقظان وكل رواد الحركة الإصلاحية عن دورهم المنوط في المجتمع؛ بالإضافة لدرجة التكوين والتأثر من خلال البعثات العلمية سواء في تونس أو المشرق، فلقد أكسبتهم قدرة على ضرورة مقارعة الاستعمار بما له من وسائل حسب خصوصية المجتمع الإسلامي، وهو ما جعلهم من يسعون في إنشاء مدارس تعنى بتثقيف المجتمع والاهتمام بالتعليم بمختلف مناهجه. والحقيقة أن مشهد التعليم في الجزائر خلال القرن 19م يعتمد على التعليم في المساجد ما يسمى بـ "**كتاب**" أو "**البادية بالشريعة**" الذي شمل مثلما أسلفنا حفظ القرآن، وتعلم القراءة والكتابة، والرسم القرآني وكذا التربية الدينية وحفظ الأحاديث وأداء الصلوات التي تجعل من الطفل حسن الخلق، ويستمر على هذا النسق إلى غاية سن 14 سنة بعدها ينتقل لتكوين الجاد والانتقال للمعاهد المتخصصة والتي أغلبها موجودة في تونس أو المغرب أو مصر (سعدي،2011 ، صفحات 44. 45).

لكن هذا النشاط التربوي التعليمي في حقيقة بدأ يزول شيء فشيئا – يخضع لرقابة الإدارة الاستعمارية من خلال تلك القرارات بداعي أنه تعليم بدائي لا يصلح لتكوين الذات و الشخصية خاصة منذ مطلع القرن العشرين (20 م) (بدون إمضاء، العلم والتعليم الصحيحان، 22 أكتوبر 1926)، ولعل في هذه المرحلة شهد المجتمع الجزائري دور الحركة الإصلاحية في مواجهة هذا التصور الذي انتقل من خلال رواده بالإضافة لصحافة الحرة وما تحمله من أفكار، وتصدى الشيخ أبي اليقظان لأفكارها التي كانت في خدمة فرنسا وتبرر لمبدأ القضاء على التعليم في الكتاب والمسد وشجع أبي اليقظان المعلمين والشيوخ ضرورة جعل الركيزة الأساسية لتعليم الابتدائي هو حفظ القرآن لأنه عماد وأساس التعلم، فلا يمكن لنشء أن يرتقي إلا من خلاله (الرحمن، 08 أكتوبر 1926، صفحة 3و4).

ومع وانتشار الأفكار الإصلاحية في الجنوب الجزائري بدأ النشاط التعليمي يزدهر وصار يعتمد على مدارس ومعاهد نذكر منها معهد الحياة في القرارة الذي فتح أبوابه في 21 ماي 1925م لطلبة الوافدين؛ وكان مركزا وقطبا علميا لكل الجنوب الجزائري، واشرف عليه في بدايته الشيخ (عمر بن يحيى) وفي الحقيقة كانت بوادر نشاطه تحت اسم (معهد الشباب) قبل الحـــرب العالمية الأولى؛ وما ميز معهد الحياة حسب قول الشيخ

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أبي اليقظان أنه كان شمعة في وسط الصحراء، تستجمع التلاميذ النجباء من صحراء إفريقيا كانت تعتمد على حفظ القرآن والأحاديث وتعلم رسم الحروف (الناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، 1983، صفحة 188).

ويعتبر منارة علمية تغذي عقول الشاربين وتم توسعتها وتغير التسمية من معهد إلى مدرسة "**مدرسة الحياة**" بالقرارة في سنة 1930م التي نعتبرها الأولى في الجنوب الجزائري، وتجلى دور الشيخ أبي اليقظان رفقة الشيخ إبراهيم بيوض من خلال مساهمتهم الفعالة في النشاط الإصلاحي واستطاع الشيخين أن يحدثوا تغييرا في المقاييس المعتمدة لتدريس، زادت من توسيع مهام التعليمية بإضافة لزيادة فروع تدريسية عن العلوم الاجتماعية وعلم النفس واللغات التي تواكب التطور الحاصل في الحواضر العلمية كالمدرسة الخلدونية في تونس ومن بين المقاييس المضافة نجد: "**تاريخ والجغرافيا العلوم الفلسفية، الرياضيات، الفيزياء والكيمياء، اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية**" بالإضافة للنحو والصرف والأدب العربي والفقه والعبادات (بدون إمضاء، هل تريدون كنوز العز والغناء، 12 مارس 1931، صفحة 2).

ومن أبرز أساتذته نجد الشيخ عدون، والمرحوم الأديب حمو بن لقمان، وعلي معمر، وأحمد بن عمي، وإبراهيم بن يحيى الحاج أيوب، وحمو بن عمر فخار (الذي كان يشغل مديرا لمدرسة الإصلاح بغرداية) بالإضافة لصالح خرفي ومحمد على دبوز والأخضر السائحي (دبوز، 2013، صفحة 156). ويعبر أبي اليقظان على أن التعليم الصحيح وفق التدرج السليم في بناء النشء وممارسة التخطيط المستقيم لمقاومة الجهل والمفسدين؛ بالإضافة لموقفه من ردود أفعال السلبية للإدارة الاستعمارية تجاه المعاهد والمدارس من خلال جريدة وادي ميزاب بمقال تحت عنوان (حالتنا التعليمية): "... **التعليم الصحيح منبع فياض يهبه الله للإنسان والعاقل هو الذي يجد في الاستفادة من هذا الفيض بلا إهمال... وبعد أن مضت مدة تقرب القرن ضلت تتعثر العقول مجالس الفجار دون تعليم إسلامي... كاد ضوءه ينطفئ تماما... وكيف يزدهر والغالب من يزعم أنه المتعاطي له يسلك الطريقة العقيمة لا تنتج نتيجة ولو استمرت عمر نوح؛ وكيف يزدهر والأفراد الذين وفقوا إلى الطريقة تشن عليهم الغارات...**" (الناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، 1983. صفحة 48).

واستطاع أبو اليقظان أن يربط التعليم في معاهد والمدرس ببناء الوطن والوطنية في نفوس الشباب، ولعل تطور الحركة الإصلاحية في الجزائر سواء التي تزعمها ابن باديس في الشمال أو تلك التي تزعمها الشيخ إبراهيم بيوض في الجنوب؛ قد استمدت روحها من صحافة الشيخ أبي اليقظان وهذا من خلال نقل الأفكار التي تعنى بالتعليم الذي يرتبطه برباط وثيق بالأخلاق، وكلى السلاحين سواء إنشاء معاهد ومدارس لتعليم الحر أو النشاط الصحفي الذي يعبر عن حرص رواد الفكر الإصلاحي على مواجهة الجمود الفكري والجهل الذي اعتبره أبو اليقظان المسبب الحقيقي لبلاء الأمة ويبرز ذلك في مقال تحت عنوان "**هل تريدون كنوز العز والغناء**" فيقول: "...**إن جل البلايا والمصائب التي تنزل كالصواعق على البلاد والعباد ليل نهار لآتية من ناحية الجهل والأمية والتجاهل وعدم التأثر بالعلم الصحيح والتربية الفاضلة...**" (بدون إمضاء، هل تريدون كنوز العز والغناء، 12 مارس 1931، صفحة 1).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي هذا السياق وجه الكتابة الصحفية لكل جرائده على مقاومة الجهل والأمية واهتمام البالغ بالعلم والمتعلم والأخذ بالأسباب التي ساهمت في رقي المجتمعات الأوروبية، منطلقا في طرحه إلى أن النهضة الحقيقية يجب أن تبدأ من الشعور بالذات والمحافظة على أصالتها وهذا لا يتحقق إلا بفتح المدارس الحرة في كل إنحاء القطر؛ على أن تكون مدارس حديثة في مناهجها الدراسية وفي نظمها التعليمية (بكير، 14 جانفي،1927،صفحة 3). ولعل إشرافه على البعثات العلمية الميزابية في تونس بداية من سنة 1914م، أكسبه معرفة ودراية بواقع التعليم في الجزائر مقارنة بما كان في تونس، وحاول أبو اليقظان أن ينشئ مدرسة حرة نظامية في "**القرارة**" سنة 1915م (الناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، 1983. صفحة 47)؛ لكن الممارسات الإدارة الاستعمارية حال دون ذلك.

وحلل أبو اليقظان من خلال صحافته واقع التعليم في الجزائر منذ بداية الاستعمار وما مدى تأثير التغيير في المفاهيم بعد انتشار التعليم الفرنسي في أوساط المجتمع؛ تبين له أنه ثلاث ميزات، مستعرضا في الوقت نفسه الأسباب التي تقف وراء كل ميزة من الأصناف ويبرز ذلك بما يلي:

– الميزة الأولى: "**الأكثر وجودا في المجتمع الجزائري الأسري**". يتميز بالانقطاع الكلي عن التعليم ومنصرف إما للعب أو لخمول والكسل، ولا يخضع لمرافقة الأهل في مساره التكويني في الصغر ولما يشتد عظمه يكتنف لممارسة الأنشطة الفلاحية رفقة من يرعاه، واعتبر ذلك أبي اليقظان أنه خسارة للأسرة قبل المجتمع.

– الميزة الثانية: "**يحتل نسبة معتبر من المجتمع الأسري**". والتي يتميز برغبته في التعليم لكن اهتمامه نسبي لا يرقى أن يستمر، بل أيضا يستفحل في عقولهم وهم صغار كسب المال، وحسب تفكيرهم المطرد أن نهاية الحياة في الشباب الكهول بما تملك من كسب للعيش.

– الميزة الثالثة: "**يحتل نسبة اقل من الصنف الثاني في المجتمع الأسري يتميز بشغف التعليم، وغرام ليس له نظير، رغم ما أفقدهم عنه الفقر وسوء الأحوال، وأظهر أبو اليقظان بعناية تفصليه لهذه الأصناف لما له خبرة من خلال إشرافه على تلك البعثات العلمية مثلما أسلفنا سابقا**" (بدون إمضاء، بشرى لأهل العلم، 01 أفريل 1927، صفحة 2).

وأرجع أبي اليقظان ضعف التعليم في ثلاثينيات القرن الماضي لكلى النمطين سواء الكتاتيب أو تعليم المدارس الفرنسية إلى المعلمين أنفسهم وطريقتهم التقليدية المشوشة في إلقاء الدروس، ونظرتهم التربوية الخاطئة التي تقوم على أساس الحد من حرية التلميذ، ومن خلالها لا يستطيع التلميذ أن يكتشف ميوله المتخصص في مجال من المجالات؛ بالإضافة لنوعية مواد التدريس التي لا تمت بأي صلة للأخلاق فتجعلهم منتقصي إرادة الفهم والتعبير (بدون إمضاء، ما هو حظنا من العلم ، 19 نوفمبر 1926، صفحة 3).

خاتمة

كانت الخاتمة التي جمعنا فيها مجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال إنجازنا لهذه الدراسة الأكاديمية. كما دعمنا بمصادر (صحف) التي أثارت في الدراسة بشكل مباشر ومن النتائج المتوصل

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إليها:

مما لا شك فيه أن اعتراض الجزائريين على تعليم الفرنسية كان واضحا منذ بداية الاحتلال، بل نجد أن ردود الفعل الوطنية المتمثلة في المقاومة الشعبية التي رفعت شعار الجهاد ومحاربة الكفار؛ وقد اعتبرت أن الوجود الفرنسي ضربة صليبية جدية ضد الإسلام والمعتقدات الدينية، لذلك لا غرابة أن نجد العائلة الجزائرية رفضها إرسال أبنائها للمدرسة الفرنسية خوفا منها على أن يترك هؤلاء الأطفال دينهم ويمسخون بمبادئ جديدة مختلفة عن عاداتهم ن فكان التعليم يمثل رابطة روحية وله علاقة وطيدة بالتعليم.

ومن الواضح جدا أن العائلات الجزائرية قد تحفظت منذ الوهلة الأولى من انتساب أبنائها إلى المدرسة الفرنسية، وظلت عالقة بمسار التعليم العربي والديني الغير حكومي، باستثناء نفر من عائلات الحضر والأعيان التي حبذت المدرسة الفرنسية، وكان بعض أفرادها يوصون أبنائهم بأن لا يتشبعوا بثقافة الغرب ولا يأخذوا كل ما يلقن حتى لا ينسيهم في أمور دينهم وثقافتهم.

الظاهر أن معارضة الجزائريين للمدرسة الفرنسية كان مرتبطا أساسا بانتمائهم الديني واللغوي والجانب الحضاري، وقد عبر عن ذلك الرفض بعض من رجال الدين نذكر منهم الشيخ بن العنابي وبن الشاهد ومصطفى الكبابطي ونعتبرهم من الأوائل الذين تصدوا لحملة تغيير المدرسة الجزائرية ولفرض اللغة الفرنسية في أوساط المجتمع الجزائري.

اتبعت الجريدة أسلوب التغيير نحو الأحسن والبحث عن سبل التقدم والتطور للمجتمع ودعت إلى التقدم والتطور والمجتمع، وذلك لمسناه من خلال معالجتنا لبعض القضايا، التي تطرق لها الشيخ أبي اليقظان من خلال جريدته وادي ميزاب والتي تحمل 119 عدد وكل عدد يحوي العديد من المقالات التي تعالج العديد من المواضيع السياسية والاجتماعية والثقافية الدينية، ولقد كان لصحيفة وادي ميزاب منبر للإصلاح والوعظ، وتأثير في النفوس وبعث النهضة فيها والتنشئة الحميدة.

حسب تحليل الشيخ أبي اليقظان لضعف التعليم في ثلاثينيات القرن الماضي لكلى النمطين سواء الكتاتيب أو تعليم المدارس الفرنسية إلى المعلمين أنفسهم وطريقتهم التقليدية المشوشة في إلقاء الدروس. مثلت مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين حقبة مهمة وحاسمة في تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية أين برزت.

التعليقات والشروحات

* **التعليق 1: الشيخ الحاج عمر بن يحي أمليكي القراري (1858 –1921):** عمر بن يحيى ببلده القرارة ودخل الكتاب وهو في سن ستة سنوات حفظ القران وانتقل إلى دار التلاميذ اخذ مبادئ العلوم على يد الحاج محمد الحاج قاسم الشيخ بلحاج الشيخ عمر بن الحاج مسعود ودرس في غرداية عند قطب الائمة محمد بن يوسف أطفيش في بني يسجن سنه 1896م، أسس مدرسة سنه 1896 وقام بتأسيس مدرسه خاصة بعدما ساعده والده وأعمامه وساهمت هذه المدرسة بشكل كبير في تعليم أبناء المنطقة ومن الأوصاف التي كان يلقب الشيخ نور القلب ويمكن اعتبار معهد الحياة الموجود حاليا في القرارة امتداد مع هذه وتولى مشيخة القرارة، بعد وفاه الحاج إبراهيم الابريكي 1911 كما يعتبر عمر بن يحيى مؤسس نظام الطبقات أداره التلاميذ ايروان، ولما اشتد عليه الضغط من طرف الاستعمار سافر الى الحجاز واستقر بها ثلاث سنوات 1901 1904 وكان عضوا بارزا جمعيه السريه بميزاب بيوض التي كانت تعتبر من فروع الجامعة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الإسلامية بإسطنبول خلال الحرب الأولى ومن اشهر تلامذته الصحافة الوطنية أبو اليقظان إبراهيم الشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي سعيد بن الحاج الشريفي عدون والشيخ إبراهيم بن أبي بكر حفار ورائد الحركة الاصلاحية الشيخ إبراهيم. للمزيد ينظر: **مجموعه من المؤلفين: معجم أعلام الاباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر المغرب الإسلامي**، ج 2، ط خاصة، جمعية التراث: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، ص 314.

* **التعليق 2: الحاج ابراهيم بن عيسى الإبريكي (1857 –1911):** يعتبر من علماء واحد أصحاب نهضتها الحديثة ولد في القرارة في عام 1857 تعلم مدينه الجلفة عند معلم من أولاد نايل يسمى آدم واستظهر عنده القران الكريم ثم التحق بمعهد الحاج محمد بن الحاج قاسم الشيخ بلحاج في القرارة وبعدها ارتقى للدراسة في معهد قطب الأئمة اطفيش ببيني يسجن وعند عودته الى بلديه القرارة اقتفى أثر شيخه وفتح معهد الابتدائية والثانوية فتخرج الأول للإصلاح في القرارة منهم إبراهيم بن عمر بيوض وقاسم بلحاج عيسى الشيخ بلحاج والحاج عمر بلحاج محمد بوحجام وإبراهيم أبو اليقظان وكان حريص على التربية والتعليم ولا يقبل ومن مواقفه رفض الدخول في حلقه عزابه في بداية الأمر لكن بعد اغتيال شيخ الحاج محمد بن القاسم الشيخ بلحاج خلفه في منبر المسجد واعظا وكان غرضه محاربه الفساد والبدع والعصبية وتوفي بسبب اشتداد المرض البواسير عليه في منتصف ذي القعدة 1329 هجري الموافقة لنوفمبر 1911 ورفاه الشيخ أبو اليقظان بقصيده نشرت في ديوانه تحت عنوان "**دمعه سخينه على العلم والدين**". للمزيد ينظر: مجموعه من المؤلفين: **معجم أعلام الاباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر المغرب الإسلامي**، ج 2، ط خاصة، المرجع نفسه، ص 188.

* **التعليق 3: الشيخ الحاج عمر العنق(1882 –1956):** ولد الحاج عمر بن إبراهيم العنق بمدينة القرارة وبدا دراسته في مسقط رأسه واستطاع أن يحفظ القران في عمر صغير وبعدها بدا دراسته الأولى بمدينه قسنطينة، وانخرط في دار التلاميذ والتحق بمدرسة الشيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي فكان من ابرز تلاميذه توجه الى معهد القطب ببني يجن للاستزادة المعارف سنة 1897، اشتغل بالتجارة في تبسه مع شقيقه الحاج بكير العنق المحنك الذي عرف في التاريخ المدينة بأسد القرارة الشيخ عمر نعم السند لأخيه في جهاد السياسي والاجتماعي ضد الاستعمار ثم استغل بتجارته الخاصة في توقرت. وساهم مساهمه فعاله في تأسيس الجمعية الصديقية في مدينه تبسه التي تعتبر أول مدرسه قرآنيه عربية عصرية في الجزائر 1913 وكان امين المال وعضو بارز في إدارة المدرسة ومعه جماعه من الميزابيين ساند الحركة الإصلاحية في تبسه مواقفها الجريئة، والتحق كذلك بجمع الزيتونة والمدرسة الخلدونية ولا فيهما فنون الادب والعلم وكان دائما رفيق الشيخ أبو اليقظان منذ الصغر ومنذ صغاره كان مولعا الشيخ أبو اليقظان بالكتابة الصحفية في سنه 1924 تخلى عن التجارة وعاد الى مدينه وارجلان ليتفرغ للتعليم في مدرسه القرآنية وفي اوائل الثلاثينيات دعته جماعه قسنطينة للتدريس وبعدها انتقل أيضا إلى بسكره وكانت مهمته الأولى هي التدريس وفي الأخير استقر في القرارة وكان دائما من أعلام الحركة العلمية الإصلاحية في المنطقة خاصة التي قادها الشيخ إبراهيم بيوض وتوفي بالحراش في جانفي 1956. للمزيد ينظر: محمد صالح ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ج 1، المصدر السابق، ص ص 14 18. كذلك ينظر: محمد علي دبوز: **النهضة الجزائرية الحديثة وثورتها المباركة**، ط1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ج1، تماريس المحمدية، الجزائر ،2012، ص 89، 388. أو المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، ص 381.

* **التعليق 4: محمد بلحاج بلقاسم بن كاسي (وفاته 1901):** من علماء القرارة ورجالها المصلحين وهو من أسرة علم، تعلم مبادئ العلوم عن والده الذي أرسله إلى معهد اطفيش ببني يسجن فنهل من معينه حتى ارتوى في علوم اللغة والشريعة وكان يحضر كذلك لدروس الشيخ عمر بن سليمان في مليكة ثم عاد لبلاده في التغيير والإصلاح وتولى مهمة رئاسة حلقة عزابة ومشيخة وأسندت إليه دروس الوعد والإرشاد وكانت له العديد من حلقات التدريس بمنزله تخرج على يده الكثير من المصلحين منهم الحاج إبراهيم الابريكي والحاج عمر بن يحيى والحاج بكير العنق، وسعى الشيخ في محاربة الرذيلة والانحراف الخلقي أراده الاستعمار في أوساط الشباب واقترحه الشيخ القطب لتولي منصب القضاء بمحكمة القرارة، وكانت صلابة في الحق ورادع لأذناب الاستعمار . ولذلك دبروا لهم مكيدا واعتلوه إمام باب داره في وضح النهار سنة 1901م واهتزت لي هذه الفعلة الشنيعة أهل البلد وعرف هذا العام بالقرارة بعام القاضي ودفن بحذوي جده الشيخ بلحاج بن الكاسي وقد ترك رسالة في يد ابنه عمر الذي تحمل مسؤولية القضاء بعده للمزيد ينظر أبو اليقظان: **ملحق السير مخطوط**، ج 2، تم تطويره من طرف أحد الزملاء يوم 12 مارس 2015 في جمعية التراث في القرارة. وينظر كذلك محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340 هـ/1921 إلى غاية عام 1395هـ/ 1975**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج 3، الجزائر 2012، ص

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

183، وينظر كذلك: أبو اليقظان، مزات العلم، جريدة وادي ميزاب العدد 43. في 15 أوت 1927.

* **التعليق 5: القرارة:** تعتبر من العشائر الكبيرة والخيرة وتمتاز بالنشاط فكري ليس له نظير في وادي ميزاب. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1975/1921**، ج 1، ط1، الناشر: عالم المعرفة والنشر، المحمدية، الجزائر، 2013، ص 242.

* **التعليق 6: العلامة الشيخ محمد يوسف أطفيش (1821 – 1914):** هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن اسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي اطفيش أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في الحديث ويذهب نسبه للعائلة الشهيرة ببني يسجن وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاتي من العائلة الحفصية بتونس فتره 1229 لغاية 1574 وفي بعض الكتب قد أرجع أن نسب الشيخ اطفيش إلى أبي حفص عمر بن الخطاب. أما أمه فهي ستي بنت الحاج سعيد بن عدون بن يوسف بن قاسم بن عمر بن يدر من عشيرة آل يضر ببني يسجن، ولد بغرداية لما انتقل والده وعاش طفولة وفي الرابعة من عمره توفي والده تركه يتيما كفله أخواله وكان منذ الصغر يمتاز بالذكاء والرعونة في التصرف فحفظ القران وهو ابن الثماني سنوات وفتح له المجال للعلم وسارع الى دور العلماء وحلق الدروس بالمسجد، فأخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر إبراهيم ابن يوسف وتلقى مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وكان يحضر حلقة الشيخ عمر بن سليمان نوح وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى في دار التلاميذ وبعد اخذه لهذه المبادئ شمر على ساعد الجدي ورفع العزيمة وبدأ ينتقي في الكتب ويجمعها ويقرأها حتى اكتسب وراء العلم والعلماء واجتمعت له مكتبة غنية تعتبر فريدة من نوعها في ذلك العصر وتعتبر مركز من مراكز الإشعاع العلمي، وما إن بلغ 16 من عمره دخل ميدان التدريس أما في عمر 20 فقد أصبح عالما بوادي ميزاب وأنشأ معهدا للتدريس يعتبر قطبا علميا معروفا في شمال افريقيا وكان منهجه في التدريس يعتمد على استغلال الوقت والتركيز على التلقين وكانت طريقه تعليمه تعتمد في فترات الصباحية والليلية إذ كان المعهد يوفر المبيت الطلبة، ومن أبرز العلماء الذين تخرجوا من معهده نذكر إبراهيم أطفيش أبو إسحاق وإبراهيم الإبريكي وإبراهيم بن عيسى أبو اليقظان وأعمار بن صالح بن موسى وبابا بكر بالحاج مسعود وداود بن سعيد بن يوسف بن حمو البكلي والقائمة طويلة وكان للشيخ أيضا الكثير من المؤلفات في تفسير القرآن وفي التجويد وفي الحديث وفي السيرة النبوية وفي علم التوحيد وعلم الكلام وكانت له ايضا الكثير من الرسائل سواء في الجزائر بين أعلامها أو في الحجاز والبحرين وتونس ومصر وعمان وبعض العواصم الأوروبية ولو تم جمع هذه الرسائل لصارت مجلدات .للمزيد ينظر: حفار السلاسل الذهبية في الشمائل خيشيه (مخ) كله أو محمد علي دبوز: **النهضة الجزائرية الحديثة وثورتها المباركة**، ط1، المصدر السابق، ص 260.

* **التعليق 7: الشيخ سليمان الباروني (1892–1962):** من أبناء اروما الباورنيين بليبيا وقد ولد في كاباو بجبال نفوسة، وتلقى تعليمه الاول في المدارس القرآنية الاباضية بالجبل جامع الزيتونة بتونس تم الأزهر الشريف بمصر. وفي عام 1924 بعد عودته من رحلاته العلمية التحصيلية التحق بسلك القضاة وظل بهذا العمل مده 40 سنة، وكان أخر منصب شغله هو مستشار المحكمة الاستئنافية الشرعية بطرابلس الغرب حارب الاستعمار الإيطالي وكان عضو بارز الوطني بطرابلس ثم عضو بحزب المؤتمر وطني 1952م عضو بلجنة الواحد والعشرون ثم استقال منها بعدما تشكلت لجنة الستون ولقد زار ميزاب 1948م وهو يقوم بجمع الاموال لإنشاء مدرسة ومسجد بمدينة طرابلس وقد أكملهما باسم مسجد الفتح سنة 1962م. للمزيد ينظر: مجموعه من المؤلفين: **معجم أعلام الاباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر المغرب الإسلامي**، ج 2، المرجع السابق، ص 191.

* **التعليق 8: الشيخ أبي اسحاق أطفيش (1886– 1965):** ولد بني يزقن من قرى وادي ميزاب في أحضان عائلة متدينة وكريمة، وكان جده من علماء المنطقة الشيخ محمد يوسف أطفيش الذي لقب بقطب الأئمة، حفظ القرآن في الحدية عشر من غمره، تم تناول العلوم الشرعية في دار التلاميذ ثم معهد جده وكان من أبرز معلميه الشيخ عبد القادر المجاوي في العاصمة، وفي سنة 1917 تاقت نفسه للاستزادة من العلم فسافر لتونس ضمن البعثة الميزابية. وانخرط ضمن طلاب جامع الزيتونة، وكان مثار إعجاب الكثير من الأساتذة من خلال ميزته التي اتصف بها من ذكاء وفطانة ورجاحة عقل. وما إن ليث قليلا حتى استهوته السياسة بأجوائها الحماسية فكان عضوا بارزا في الحزب الدستوري التونسي مع زملائه المشايخ في البعثة، عرف الشيخ ابي إسحاق بكره الشديد للاستعمار وكل من يتعامل معه، ومن خلال مرافقة الشديد تم في وادي ميزاب استثارة أولياء البعثة على أن الطلاب لم يذهبوا لنهل العلم بل اعتبرها مجازفة لسياسة دون العلم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وهو ما جعل الأولياء يطالبون بعودة أبنائهم، وما زاد الطين بلة هو تبليغ على الشيخ أبي إسحاق الأمر الذي جعل السلطان الفرنسية تقوم بنفسه من تونس إلى مصر بداية من 21 فيفري 1923. ومثلت هذه المرحلة المهمة في الشيخ أبي إسحاق في بناء فكره حول القضية الجزائرية خاصة أنه التقى بالأمير خالد والشيخ عبد العزيز الثعالبي اللذان تربطهما بأبي إسحاق صلاة العمل الوطني. واستمر الشيخ في مصر وأول قام به هو اتصاله بأصدقائه في وادي ميزاب وحثهم على ضرورة إنشاء صحافة وهو الأمر الذي جعل منه ينشئ جريدة المنهاج في سنة 1925 وكانت هي لسان لاذع لسلطة الفرنسية خاصة وأن مصر كانت تحت الحماية البريطانية وكانت تشجع كل ما هو ضد فرنسا. لكن ظروف المالية حالت دون استكمال رئاسة هذه المجلة وتنازل بها لصديقه محب الدين الخطيب سنة 1930. واشتغل أبي إسحاق على استجماع تراث جده الذي كان زاخرا. في الجزائر. وفي خمسينيات القرن الماضي أختار أن يكون ممثلا للإمام غالب بن علي في هيئة الأمم المتحدة وكان كذلك معتمد في الجماعة العربية، واستمر في نشاطه إلى أن وافته المنية في 13ديسمبر1965م. للمزيد ينظر: محمد صالح الناصر: **مشايخي كما عرفتهم**، ط3، دار الناصر، الدار البيضاء، الجزائر، 2016، ص 14-15.

قائمة المصادر المراجع

المؤلفات

.إبراهيم مهديد، (2006)، **المثقفون في عمال وهران، خلال الحقبة الكولونيالية الأولى من 1850إلى 1912**. وهران،: دار الأديب.

.أبو القاسم سعد الله، (1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954م** (الإصدار ج5، المجلد ط1). بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي.

.أبي اليقظان إبراهيم عيسى، (2003)، **تاريخ صحف أبي اليقظان (1888- 1973)**. الجزائر: مطبعة دار هومه.

.آثار احمد توفق المدني، (2008)، **حياة كفاح**. الجزائر: دار البصائر للنشروالتوزيع (وزارة الثقافة) .

.أحمد توفيق المدني، (2009)، **هذه الجزائر**. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

.الزبير سيف الإسلام، (1985)، **تاريخ الصحافة في الجزائر** (الإصدار ج 2، المجلد ط6). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب.

.الزبير سيف الإسلام ،(ب س)، **آخر حديث لعميد الصحافيين المرحوم أبي اليقظان عن التاريخ النضالي للصحافة الوطنية**. ب م:ب ن.

.الشيخ إبراهيم أبي اليقظان، (2021)، **الإسلام ونظام المساجد والعشائر في وادي ميزاب** (المجلد ب ط). (الحاج أحمد بن حمو كروم، المحرر) القرارة ، غرداية ، الجزائر : جمعية التراث.

.العربي زبيري ،(1999)، **تاريخ الجزائر المعاصر**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

.بسام العسلي، (1983م)، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، (المجلد ط2). بيروت: دار النفائس.

.بشير بلاح، (2006)، **تاريخ الجزائر المعاصرة 1830م – 1989**. الجزائر : دار المعرفة.

.بكير بن سعيد أعوشت، (2012)، أحمد بن حمو كرومة: (ب س). "**مسلمات صالحات في روضة الإيمان**". غرداية ، الجزائر: المطبعة العربية.

.جمال قنان، (2009)، **التعليم الأهلي في الجزائر**. الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.

.حمدان بن عثمان خوجة، (2005)، **المرآة**، (تر: محمد العربي زبيري، المحرر) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

.حمو محمد عيسى النوري س. (ب س). **دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، المجلد2. الجزائر: دار البعث قسنطينة .

.حمو محمد عيسى النوري، (ب س). **دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، المجلد1 الجزائر: دار البعث قسنطينة.

.خيري الرزقي ،(2015)، **المشرق الإسلامي من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان**، الجزائر: مؤسسة شطبي لنشر والتوزيع.

.رابح تركي، (2010)، **التعليم القومي للشخصية الجزائرية**، الجزائر: ط3، الشركة الوطنية، الجزائر.

.سليمة كبير، (2012)، **من أعلام الجزائر في العصر الحديث ،الشيخ أبو اليقظان (رجل الدعوة والإصلاح بوادي ميزاب)** . الجزائر: الخضراء.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

.سيف الإسلام الزبير، (1985)، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، (المجلد ط6). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية نشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري.

.عبد الحميد زوزو، (2010)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1900**. الجزائر : موفم للنشر.

.عبد الرزاق قسوم، (ب س)، **أبو اليقظان أحد رواد الإصلاح في الجزائر**. ب م: أبو اليقظان في الدوريات العربية .

.عبد الرشيد زروقة، (1999)، **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي 1913-1940**. الجزائر: دار الشهاب.

.عبد القادر حلوش، (2013م)، **سياسة فرنسا التعليمية**. الجزائر: دار الأمة.

.عمر رضا كحالة ، (1993)، **معجم المؤلفين** (الإصدار ج3). بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة.

.فيصل دليو، (2014)، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013**. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.

.قويع عبد القادر، (2013)، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان و ميزاب بين سنتي1926 -1954**. الجزائر: دار طليطلة.

.مجموعة باحثين، (2009)، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

.مجموعة من الباحثين، (1999)، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب. القرارة، غرداية، الجزائر: المطبعة العربية، نشر: جمعية التراث.

.محمد الناصر (1983)، **أبــو اليقظان وجهاد الكلمة**، (المجلد ط 2). الجزائر: لمؤسسة الوطنية للكتاب.

.محمد صالح الناصر (2016)، **مشايخ كما عرفتهم** (المجلد ط3). لجزائر: دار الناصر.

.محمد محفوظ. (1986). **تراجم المؤلفين التونسيين** (الإصدار ج 2 ، المجلد ط 1). بيروت ، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

.محمد بن قاسم ناصر بوحجام، (2013)، **أبو اليقظان "قواعد البناء والإعداد والتربية**. القرارة ، الجزائر: جمعية التراث .

.محمد صالح ناصر. (2013)، "**الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاد الإسلامي**" (المجلد ط5). الجزائر: كولوكوم.

.محمد عثمان صالح، (1989)، **النصرانية السياسة والتنصير المسيحية والتبشير** (المجلد ط1). المدينة المنورة، السعودية: مكتبة ابن القيم لنشر والتوزيع.

.محمد علي دبوز، (2013)، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** (المجلد ط1)، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

.محمد علي دبوز، (2013)، **أعلام لإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ 1921م إلى عام 1395 هـ 1975 م** (المجلد ط1). الجزائر: عالم المعرفة.

.محمود علالي (2013)، **الحركة الإصلاحية في الأغواط "1916-1958"**، الجزائر: دار اللواء.

.مصطفى بن الحاج بكير حموده (2008)، **من تاريخ جماعة بني يزقن**. غرداية ، الجزائر : المطبعة العربية.

.مفدي زكريا، (2003)، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، (المجلد ب ط)، (أحمد حمدي، المحرر) لجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء.

.مفدي زكريا، (2007)، **تحت ظلال الزيتون**. الجزائر ، موفم للنشر، ب س.

.منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، (2011)، **أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الإحتلال (1830-1962)**. الجزائر: العالمية للطباعة والخدمات.

.نبيل أحمد بلاصي، (1990)، **الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

.يحيى بوعزيز، (2007)، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطني الجزائرية 1830- 1954**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

.يوسف بن بكير ، الحاج السعيد (2017)، **تاريخ بني ميزاب "دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية"**، (المجلد ط 4). الجزائر: المطبعة العربية.

الأطروحات

.أحمد بلعجال، (2005-2006)، **الخطاب الاصطلاحي عند الشيخ محمد الزاهري**. جامعة منتوري قسنطينة: رسالة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط،قسنطينة.

.أسيا حسين رحوي، (2011)، **وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي – دراسة نفسية وتربوية**. تيزي وزو: جامعة مولود معمري.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

.رابح دبي، (2010-2011)، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962م.** جامعة الجزائر: أطروحة دكتوراه في علوم التربية جامعة الجزائر.

.صادق بلحاج، (2011- 2012)، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي1919-1939دراسة مقارنة.** الجزائر: رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة وهران.

.كمال خليل، (2007-2008)، **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر- التأسيس والتطور(1850-1951).** جامعة منتوري قسنطينة: رسالة ماجستير.

.مدني حسين، (2012-2013)، **التعليم الرسمي الفرنسي 1884- 1914م.** وهران: رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران.

.مدني حسين، (2012-2013)، **التعليم الرسمي الفرنسي 1884- 1914م**، جامعة وهران: رسالة ماجستير في التاريخ.

الجرائد (الصحف)

. أبو اليقظان، **الافتتاحية "كيفية الوصول لعلم نافع"**، جريدة وادي ميزاب، ع 1، ص 1.

. أبو اليقظان، (27 أفريل 1937م)، **هلم أيها النشء العربي إلى تعلم العربية**، جريدة الأمة، ع 119 ، صفحة 3).

. بدون إمضاء، (08 أكتوبر 1926)، **نحن إلى التربية أحوج منا إلى العلم**، جريدة وادي ميزاب،ع2 ،صفحة 1).

. بدون إمضاء، (14 جانفي 1927م)، **بيان الحقيقة**، جريدة وادي ميزاب، ع 14، صفحة 3).

. بدون إمضاء، (19 نوفمبر 1926)، **ما هو حظنا من العلم**، جريدة وادي ميزاب، ع 8، صفحة 3.

. بدون إمضاء،(12 مارس 1931)، **هل تريدون كنوز العز والغناء**، جريدة المغرب، ع36، صفحة 1.

. بدون إمضاء،(22 أكتوبر 1926)، **العلم والتعليم الصحيحان**، جريدة وادي ميزاب، ع 4، صفحة 1.

.أبو اسحاق أطفيش، (5 جوان 1926)، **بواعث الأمة**. المنهاج، صفحة 1.

.بدون إمضاء، (12 جويلية 1926)، **نبذة عن السياسة العامة في أسبوع "الاتجاه السياسي في الشرق الأدنى" حـول قضية لواء الإسكندرية المحالفة التركية فرنسية**. وادي ميزاب.

.دون إمضاء، (07 جانفي , 1927)، **الإصلاح. وادي ميزاب** ، 1.

.عبد الحمد ابن باديس، (29 سبتمبر, 1927)، **كلام عن الأفاضل**. مجلة الشهاب ، صفحة 16.

.بدون إمضاء، (01 أفريل 1927)، بشرى لأهل العلم ، جريدة وادي ميزاب ، ع 26، صفحة 2.

- المراجع الأجنبية

.VOISIN. (1861). **L'Algérie pour les Algériens**. Paris: Michel Lery frères.

.Zessin. (2011). **« Indigènes » en Algérie coloniale années.** paris: Presse et journalistes.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)